سورة الزلزلة

[١٠٣١] أخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير قال: لما نزلت: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾(١) الآية كان المسلمون يرون أنهم لا يؤجرون على الشيء القليل إذا أعطوه وكان آخرون يرون أنهم لا يلامون على الذنب اليسير الكذبة والنظرة والغيبة وأشباه ذلك ويقولون إنما وعد الله النار على الكبائر فأنزل الله: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾(٢).

* * *

[١٠٣١] (١) سورة الإنسان: الآية (٨).

(٢) سورة الزلزلة: الآية (٧و٨).

(٩٩) سورة الزلزلة مدنية وآياتها ثمان

سورة الزلزلة مدنية ، وهي في أسلوبها تشبه السور المكية ، لما فيها من أهوال وشدائد يوم القيامة ، وهي هنا تتحدث عن الزلزال العنيف الذي يكون بين يدي الساعة ، حيث يندك كل صرحٍ شامخ ، وينهار كل جبل راسخ ، ويحصل من الأمور العجيبة الغريبة ما يندهش له الإنسان ، كإخراج الأرض ما فيها من موتى ، وإلقائها ما في بطنها من كنوز ثمينة من ذهبٍ وفضة ، وشهادتها على كل إنسان بما عمل على ظهرها تقول : عملتَ يوم كذا ، كذا وكذا ، وكل هذا من عجائب ذلك اليوم الرهيب ، كما تتحدث عن انصراف الخلائق من أرض المحشر إلى الجنة أو النار ، وانقسامهم إلى أصناف ما بين شقي وسعيد .

● ● ●

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الزلزال[١]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾[١]

قوله عز وجل: **إذا زلزلت الأرض زلزالها**. قد ذكرنا أن حرف **إذا** إنما يذكر عن سؤال سبق منهم، كأنهم سألوا عن الوقت الذي كانوا يوعدون فيه وإن لم يذكر السؤال، لأنه قد يكون في الجواب بيان السؤال وفي السؤال بيانُ الجواب وإن لم يذكر. فعند ذلك قال: **إذا زلزلت الأرض زلزالها**، أخبرهم عن أحوال يوم القيامة والحساب ولم يخبرهم عن وقتها، وقد ذكرنا[٢] في غير موضع.

ثم قوله عز وجل: **إذا زلزلت الأرض زلزالها**، أي حُرّكت الأرض تحريكا[٣] شديدا لهول ذلك اليوم. وهو يخرج على وجهين. أحدهما جائز أن تكون تتزلزل وتتحرك حتى تُلقي[٤] ما ارتفع منها من الجبال الرواسي في الأودية حتى تستوي[٥] الأرض، لا يبقى فيها هبوطٌ ولا صعود، كقوله تعالى: لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا.[٦] وجائز أن يكون قوله: **زلزلت الأرض**،

---

[١] ر – سورة الزلزال؛ ن: ذكر أن سورة إذا زلزلت مكية؛ ث + وهي ثمان آيات مدنية؛ م: سورة إذا زلزلت مكية.

[٢] ر ث م: وقد ذكر.

[٣] جميع النسخ: تحركا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٥٦و.

[٤] جميع النسخ: أن يكون يتزلزل ويتحرك حتى يلقي.

[٥] جميع النسخ: حتى يستوي. والتصحيح من المرجع السابق.

[٦] سورة طه، ١٠٧/٢٠.

أي تتزلزل[1] وتتحرك لتغيّر الجبال الرواسي حتى تصيرَ كما ذَكر: يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ،[2] وقوله عز وجل: فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا،[3] فإذا فَنِيَت وتَلاشت بقيت الأرض مستوية على ما ذكره. ويحتمل أن تكون تتزلزل وتتحرك حتى تصير غير تلك، كقوله تعالى: يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ،[4] الآية. ويحتمل أن يكون تبديلها وتحريكها ومدها هو تغيُّرَ صفاتها على ما ذكرنا في الوجهين الأولين. [وقد قرئ: زَلْزَالَها، بنصب الزاي الأولى].[5] قال الزجاج: لا يصح هذه القراءة[6] لأن الزلزال من المضاعف والمضاعف إنما[7] يكون [٩١٨و] / بالخفض مصادرها. أما مِن الأسماء قد يكون نصبا، كقوله تعالى: مِنْ صَلْصَالٍ،[8] ونحوه. والزِلْزال مصدر، فيكون الأصل[9] المطّرد فيه هو الكسرَ، والنصب يكون نادرا.[10] **والله أعلم**.

﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾[٢]

وقوله عز وجل: **وأخرجت الأرض أثقالها**، أي أحمالها لهول ذلك اليوم،[11] فقال في آية أخرى: وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ.[12] ثم يحتمل **أخرجت**، وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا، من الموتى من أول ما دُفن فيها من كل شيء من الحيوان وغيرها إلى آخر ما يُجعَل فيها من الكنوز وغيرها[13] مما يحتمل الحساب ومما لا يحتمل من البشر وجميع الممتحَنين وغيرهم. ويحتمل **وأخرجت [الأرض] أثقالها**، الممتحَنين خاصة ممن يحاسبون ويثابون ويُجزَوْن.

---

[1] ر: يتزلزلت.
[2] سورة القارعة، ١٠١/٤-٥.
[3] ﴿وَقَدِمْنَا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا﴾ (سورة الفرقان، ٢٥/٢٣).
[4] سورة إبراهيم، ١٤/٤٨.
[5] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٥٦و.
[6] م + كقوله تعالى يوم تبدل الأرض غير الأرض ويحتمل أن يكون.
[7] ث + يصير.
[8] سورة الحجر، ١٥/٢٦، ٢٨، ٣٣؛ وسورة الرحمن، ٥٥/١٤.
[9] ر ث م: في الأصل.
[10] قوله عز وجل: ﴿إذا زلزلت الأرض زلزالها﴾ إذا حركت حركة شديدة، والقراءة ﴿زِلْزَالَهَا﴾ بكسر الزاي، ويجوز في الكلام زَلْزَالَهَا، وقرئت زَلْزَالَهَا، وليس في الكلام فَعْلَال بفتح الفاء إلا في المضاعف نحو الزلزال والصَلْصَال. والاختيار كسر الزاي، والفتح جائز (*معاني القرآن وإعرابه* للزجاج، ٥/٣٥١).
[11] ن - اليوم.
[12] سورة الانشقاق، ٨٤/٤.
[13] ن ث: وغيرهما.

﴿وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا﴾[٣] ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾[٤]

وقوله عز وجل: **وقال الإنسان مالها**، أي[١] قال الكافر: **مالها**، تتحرك.[٢] فقال بعضهم: أحمق في الدنيا وأحمق في الآخرة حيث يسأل الأرض: مالها تتزلزل وتتحرك، يظن أنها بنفسها تفعل ذلك، لا يُفزعه ما يرى[٣] من أهوال ذلك اليوم وتغيِّر[٤] أحوالها على ما لم ينظر في الدنيا في الآيات والحجج حتى يَقبلها ويخضعَ لها. وقال بعضهم: هو على التقديم والتأخير كأنه يقول: يومئذ تحدث أخبارها وقال الإنسان مالها، تشهد وتخبر بما عُمل على ظهرها.

ثم **أخبارَها**، يخرج على وجوه. أحدها ما قاله أهل التأويل: إنها تخبر وتحدّث بما عُمل على ظهرها من خير أو شر أو طاعة أو معصية، لكن لا يحتمل **أخبارَها** الخير، لأنها إنما تشهد عليهم لإنكار أهل الكفر ما كان منهم من فعل الكفر والمعصية. وأما أهل الجنة فإنهم[٥] يكونون مقرين[٦] بالخيرات، والله تعالى يصدّقهم على ذلك. ***والله أعلم***. وكذلك ما ذكر من شهادة الجوارح[٧] إنما تشهد عليهم على ما ينكرون من الشرك والكفر وغير ذلك من المعاصي. فعلى ذلك التأويل يكون **أخبارَها**، على حقيقة النطق والكلام. وقال بعضهم: **أخبارَها**، ما ذكر من تزلزلها وتحركها، والأحوال التي تكون فيها هو تحديثها وإخبارها التي تكون[٨] منها. وقال بعضهم: يومئذ تتبين[٩] وتقع أخبارُها التي أُخبروا في الدنيا فكذَّبوها يومئذ، يتبين لهم ذلك ويقع لهم مشاهدة وعِيانا[١٠] من الحساب والثواب والعقاب. وفي الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أتدرون ما أخبارها»؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «أخبارها أن تشهد على كل عبد وأَمَةٍ بما عَمِل على ظهرها».[١١]

---

[١] ر م - أي.

[٢] ر ن م: يتحرك.

[٣] ر ن م: ما ترى.

[٤] ر ث م: وتغير؛ ن: وتبيين. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٥٦ظ.

[٥] ن: فلهم.

[٦] ر م: مقرنين.

[٧] ﴿اليوم نختم على أفواههم وتُكلِّمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون﴾ (سورة يس، ٦٥/٣٦). وانظر أيضا: سورة فصلت، ٤١/٢٠-٢٢.

[٨] جميع النسخ: يكون. والتصحيح من المرجع السابق.

[٩] ر ث م: تبين؛ ن: يبين. والتصحيح من المرجع السابق.

[١٠] جميع النسخ: عيانا. والتصحيح من المرجع السابق.

[١١] *مسند أحمد بن حنبل*، ٣٧٤/٢؛ و*سنن الترمذي*، صفة القيامة ٧؛ وتفسير القرآن ٩٩.

﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾[٥]

وقوله عز وجل: **بأن ربك أوحى لها**، من قال بأن أخبارها[١] هي شهادتها[٢] بما عملوا على ظهرها يكون تأويل[٣] قوله تعالى: **أوحى لها**، من شهادتها بما عملوا على ظهرها، [أو يكون تأويل قوله]:[٤] **أوحى لها**،[٥] أي أذن لها ربها بالشهادة فتشهد. ومن قال: أخبارها هو تزلزلها وتحركها والأحوال التي تكون منها يقول على إسقاط **لها**، يقول: **بأن ربك أوحى لها**،[٦] أي فعل ذلك بها، والوحي قد يكون بالإذن[٧] والإلهام[٨] والأمر ويستعمل فيما يليق به.[٩]

﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾[٦]

وقوله عز وجل: **يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم**، يحتمل صدور الناس من وجهين. أحدهما يصدرون من قبورهم إلى الحساب لِيُرَوْا كتابة أعمالهم،[١٠] أي ليُروا ما كُتب من أعمالهم التي عملوا في الدنيا. ويحتمل صدورَهم على ما أُعد لهم في الآخرة من الثواب[١١] والعقاب، فعلى هذا التأويل لِيُرَوْا جزاء أعمالهم التي عملوا في الدنيا، كقوله تعالى: فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ،[١٢] وقوله تعالى: وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا،[١٣] هذا تفسير قوله: **أشتاتا**.

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾[٧] ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[٨]

وقوله عز وجل: **فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره**، قال بعضهم: يرى الكافر ما عمل من خير في الدنيا، وأما في الآخرة فلا يرى لأنه لا يؤمن بها ولا يعمل لها،

---

[١] م: بأن أخبار.
[٢] جميع النسخ: من شهادتها. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٥٦ظ.
[٣] ر م: تأويله.
[٤] ر ث م: قوله تعالى. والتصحيح مستفاد من المرجع السابق.
[٥] ن – من شهادتها بما عملوا على ظهرها أو يكون تأويل قوله أوحى لها.
[٦] ر ث م – لها.
[٧] جميع النسخ: الوحي. والتصحيح من المرجع السابق.
[٨] ر م: وإلهام.
[٩] ر ث م – به.
[١٠] ث – يحتمل صدور الناس من وجهين أحدهما يصدرون من قبورهم إلى الحساب ليروا كتابة أعمالهم.
[١١] ن: في الآخرة والثواب.
[١٢] سورة الشورى، ٧/٤٢.
[١٣] سورة الزمر، ٧١/٣٩.

كقوله تعالى: مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ.[١] والمؤمن يرى ما عمل من شر في الدنيا وما عمل من خير[٢] في الآخرة. وعلى ذلك روي في الخبر أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه كان جالسا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية، فقال أبو بكر الصديق[٣] لرسول الله صلى الله عليه وسلم: كل من عمل منا[٤] من شر يراه؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما يرون في الدنيا مما يكرهون فهو[٥] من ذاك ويؤخّر الخير لأهله في الآخرة».[٦]

وجائز أن يكون قوله تعالى: **فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره و[من يعمل مثقال ذرة]**[٧] **شرا يره**، على الإحصاء والحفظ، كقوله تعالى: لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا،[٨] أي لا يذهب عنه شيء قليل ولا كثير حتى الذرةُ. ويحتمل وجها آخر وهو أن قوله تعالى: **فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره**، أي من يعمل من المؤمنين مثقال ذرة خيرا يره في الآخرة، ومن يعمل من الكفار مثقال ذرة شرا يره في الآخرة، لأن الله تعالى قد أخبر في غير آي من القرآن أنه يتقبل حسنات المؤمنين ويتجاوز عن سيئاتهم، كقوله تعالى: وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ،[٩] ونحو ذلك من الآيات.

وقوله عز وجل: **مثقال ذرة**، ليس على إرادة[١٠] / حقيقة الذرة ولكن على التمثيل. [٩١٨ظ]

ثم قيل في إخبار[١١] الأرض وما ذكر من شهادة[١٢] الجوارح أن كيف احتمل ذلك وهي أموات[١٣] والأموات[١٤] لا علم لها؟

---

[١] ﴿...ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا﴾ (سورة الإسراء، ١٨/١٧).
[٢] ر م – من خير.
[٣] ن – الصديق.
[٤] ر م – منا.
[٥] ر: فهن.
[٦] *المستدرك على الصحيحين* للحاكم، ٥٨٠/٢-٥٨١.
[٧] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٥٦ظ.
[٨] سورة الكهف، ٤٩/١٨.
[٩] سورة العنكبوت، ٧/٢٩.
[١٠] ر م: ليس إرادة.
[١١] جميع النسخ: من إخبار. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٥٧و.
[١٢] م + الأرض.
[١٣] ث: موات.
[١٤] جميع النسخ: والموات.

فجائز أن يكون الله تعالى يجعل لها علما ويُنطقها بذلك، وأن لها بذلك علما على جَعْلها آية.

ثم في قوله تعالى: لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ،[1] دلالة أن قوله تعالى: حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ،[2] وقولَه [صلى الله عليه وسلم]: «لا تسافروا بالقرآن [إلى][3] أرض العدو»،[4] وقولَ الناس: "نقرأ[5] كلام رب العالمين"، وفي المصاحف "قرآن" أنْ لا يرادُ به حقيقة كون كلام الله تعالى في المصاحف، ولا حقيقة كون القرآن فيها والسفرِ به ولا حقيقة سماع كلامه. ولكن على إرادة سماع ما يفهم به كلامه أو ما به يُعبَّر[6] عن كلامه، وكذلك يكون في المصاحف ما يفهم به كلامه[7] أو ما يعبر[8] عن كلامه على ما روي[9] من رؤية الأعمال، وأعيُن الأعمال لا تُرى ولكن ترى ما يدل[10] عليها، وهو المكتوب من أعمالهم في الكتب التي فيها أعمالهم. فعلى ذلك هذا. *والله أعلم*.[11]

---

[1] الآية ٦ من هذه السورة.

[2] سورة التوبة، ٦/٩.

[3] الزيادة من مصدر الرواية.

[4] شعب *الإيمان* للبيهقي ٢١٣/٤؛ وانظر: *مسند أحمد بن حنبل*، ٦/٢، ١٠؛ وصحيح *مسلم*، الإمارة ٩٢.

[5] ر ن ث: يقرأ.

[6] جميع النسخ: ويكون على ما أراد من سماع ما به يفهم كلامه ويسمع (ن ث: أو يسمع) ما يعبر (ث: ما يغيره) به.

[7] ن: به من كلامه.

[8] ث + به.

[9] ر م: على ما ذكرنا؛ ث ن: على ما ذكر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٥٧و.

[10] ن - يدل.

[11] ر + بالصواب وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين؛ ن: والله الموفق والمسدد.

سورة الزلزلة

وهي ثمان آيات مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝﴾

ههنا مسائل:

المسألة الأولى: ذكروا في المناسبة بين أول هذه السورة وآخر السورة المتقدمة وجوهًا: **أحدها**: أنه تعالى لما قال: ﴿جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [البينة: ٨] فكأن المكلف قال: ومتى يكون ذلك يا رب؟ فقال: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ فالعالمون كلهم يكونون في الخوف، وأنت في ذلك الوقت تنال جزاءك وتكون آمنًا فيه، كما قال: ﴿وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾ [النمل: ٨٩] **وثانيها**: أنه تعالى لما ذكر في السورة المتقدمة وعيد الكافر ووعد المؤمن أراد أن يزيد في وعيد الكافر، فقال: أجازيه حين يقول الكافر السابق ذكره: ما للأرض تزلزل؟! نظير قوله: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦] ثم ذكر الطائفتين فقال: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ [آل عمران: ١٠٦] ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ [آل عمران: ١٠٧] ثم جمع بينهم في آخر السورة فذكر الذرة من الخير والشر.

المسألة الثانية: في قوله: ﴿إِذَا﴾ بحثان: **أحدهما**: أن لقائل أن يقول: ﴿إِذَا﴾ للوقت فكيف وجه البداية بها في أول السورة؟ **وجوابه من وجوه: الأول**: كانوا يسألونه متى الساعة؟ فقال: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ﴾ كأنه تعالى قال: لا سبيل إلى تعيينه بحسب وقته ولكني أعينه بحسب علاماته. **الثاني**: أنه تعالى أراد أن يخبر المكلف أن الأرض تحدث وتشهد يوم القيامة مع أنها في هذه الساعة جماد فكأنه قيل: متى يكون ذلك؟ فقال: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ﴾.

البحث الثاني: قالوا كلمة: (إنْ) في المجوز، و(إذا) في المقطوع به، تقول: (إن دخلتِ الدار فأنت طالق) لأن الدخول يجوز، أما إذا أردت التعليق بما يوجد قطعًا لا تقول: (إن) بل تقول: إذا (نحو إذا) جاء غد فأنتِ طالق لأنه يوجد لا محالة. هذا هو الأصل، فإن استعمل على خلافه فمجاز، فلما كان الزلزال مقطوعًا به قال: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾.

المسألة الثالثة: قال الفراء: الزلزال بالكسر المصدر والزلزال بالفتح الاسم، وقد قرئ بهما، وكذلك الوسواس هو الاسم، أي اسم الشيطان الذي يوسوس إليك، والوسواس بالكسر المصدر، والمعنى: حُركت حركةِ شديدة، كما قال: ﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا﴾ [الواقعة: ٤] وقال

قوم: ليس المراد من زُلزلت حُركت، بل المراد: تحركت واضطربت، والدليل عليه أنه تعالى يخبر عنها في جميع السورة كما يخبر عن المختار القادر، ولأن هذا أدخل في التهويل كأنه تعالى يقول: إن الجماد ليضطرب لأوائل القيامة، أما آن لك أن تضطرب وتتيقظ من غفلتك؟ ويقرب منه: ﴿لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١]واعلم أن (زل) للحركة المعتادة، و(زلزل) للحركة الشديدة العظيمة؛ لما فيه من معنى التكرير، وهو كالصرصر في الريح، ولأجل شدة هذه الحركة وصفها الله تعالى بالعظم فقال: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج: ١].

المسألة الرابعة: قال مجاهد: المراد من الزلزلة المذكورة في هذه الآية النفخة الأولى، كقوله: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ﴾ [النازعات: ٦، ٧]أي تزلزل في النفخة الأولى، ثم تزلزل ثانيًا فتُخرج موتاها وهي الأثقال، وقال آخرون: هذه الزلزلة هي الثانية بدليل أنه تعالى جعل من لوازمها أنها تُخرج الأرض أثقالها، وذلك إنما يكون في الزلزلة الثانية.

المسألة الخامسة: في قوله: ﴿زِلْزَالَهَا﴾ بالإضافة وجوه: **أحدها**:القدر اللائق بها في الحكمة، كقولك: أكرم التقي إكرامه وأهن الفاسق إهانته. تريد ما يستوجبانه من الإكرام والإهانة. **والثاني**: أن يكون المعنى زلزالها كله وجميع ما هو ممكن منه، والمعنى أنه وجد من الزلزلة كل ما يحتمله المحل. **والثالث**:زلزالها الموعود أو المكتوب عليها إذا قدرت تقدير الحي، تقريره ما روي أنها تزلزل من شدة صوت إسرافيل لما أنها قُدرت تقدير الحي.

قوله تعالى: ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝﴾

ففيه مسألتان:

المسألة الأولى: في الأثقال قولان: **أحدهما**:أنه جمع ثقل وهو متاع البيت ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ﴾ [النحل: ٧]جعل ما في جوفها من الدفائن أثقالاً لها، قال أبو عبيدة والأخفش: إذا كان الميت في بطن الأرض فهو ثقل لها، وإذا كان فوقها فهو ثقل عليها. وقيل: سمي الجن والإنس بالثقلين لأن الأرض تثقل بهم إذا كانوا في بطنها ويثقلون عليها إذا كانوا فوقها. ثم قال: المراد من هذه الزلزلة: الزلزلة الأولى، يقول: أخرجت الأرض أثقالها، يعني الكنوز فيمتلئ ظهر الأرض ذهبًا ولا أحد يلتفت إليه، كأن الذهب يصيح ويقول: أما كنت تخرب دينك ودنياك لأجلي؟! أو تكون الفائدة في إخراجها كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ﴾ [التوبة: ٣٥]ومن قال: المراد من هذه الزلزلة الثانية وهي بعد القيامة، قال: تخرج الأثقال يعني الموتى أحياء كالأم تلده حيًا، وقيل: تلفظه الأسرار، ولذلك قال: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ فتشهد لك أو عليك.

المسألة الثانية: أنه تعالى قال في صفة الأرض: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا﴾ [المرسلات: ٢٥]ثم صارت بحال ترميك، وهو تقرير لقوله: ﴿تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ﴾ [الحج: ٢]وقوله: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ﴾ [عبس: ٣٤].

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝٣ يَوۡمَئِذٖ تُحَدِّثُ أَخۡبَارَهَا ۝٤﴾

أما قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا لَهَا﴾، **ففيه مسائل:**

المسألة الأولى: ما لها تزلزل هذه الزلزلة الشديدة ولفظت ما في بطنها، وذلك إما عند النفخة الأولى حين تلفظ ما فيها من الكنوز والدفائن، أو عند النفخة الثانية حين تلفظ ما فيها من الأموات.

المسألة الثانية: قيل: هذا قول الكافر وهو كما يقولون: ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ﴾ [يس: ٥٢] فأما المؤمن فيقول: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾ [يس: ٥٢] وقيل: بل هو عام في حق المؤمن والكافر، أي الإنسان الذي هو كنود جزوع ظلوم الذي من شأنه الغفلة والجهالة - يقول: ما لها وهو ليس بسؤال بل هو للتعجب، لِما يرى من العجائب التي لم تسمع بها الآذان. ولا تطلّق بها لسان، ولهذا قال الحسن: إنه للكافر والفاجر معًا.

المسألة الثالثة: إنما قال: ﴿مَا لَهَا﴾ على غير المواجهة لأنه يعاتب بهذا الكلام نفسه، كأنه يقول: يا نفس ما للأرض تفعل ذلك؟! يعني يا نفس أنت السبب فيه فإنه لولا معاصيك لما صارت الأرض كذلك. فالكفار يقولون هذا الكلام والمؤمنون يقولون: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ﴾ [فاطر: ٣٤].

أما قوله تعالى: ﴿يَوۡمَئِذٖ تُحَدِّثُ أَخۡبَارَهَا﴾ فاعلم أن ابن مسعود قرأ: (تنبئ أخبارها) وسعيد بن جبير (تنبّئ) **ثم فيه سؤالات:**

الأول: أين مفعولا ﴿تُحَدِّثُ﴾؟ **الجواب:** قد حذف أولهما والثاني أخبارها، وأصله تحدث الخلق أخبارها، إلا أن المقصود ذكر تحديثها الأخبار لا ذكر الخلق تعظيمًا.

السؤال الثاني: ما معنى تحديث الأرض؟ قلنا: **فيه وجوه: أحدها:** -وهو قول أبي مسلم- يومئذٍ يتبين لكل أحد جزاء عمله، فكأنها حدثت بذلك، كقولك: (الدار تحدثنا بأنها كانت مسكونة) فكذا انتقاض الأرض بسبب الزلزلة تحدث أن الدنيا قد انقضت وأن الآخرة قد أقبلت. **والثاني:** -وهو قول الجمهور- أن الله تعالى يجعل الأرض حيوانًا عاقلاً ناطقًا ويعرفها جميع ما عمل أهلها، فحينئذٍ تشهد لمن أطاع وعلى من عصى، قال عليه السلام: «**إِنَّ الأَرْضَ لَتُخْبِرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِكُلِّ عَمَلٍ عُمِلَ عَلَيْهَا**» ثم تلا هذه الآية، وهذا على مذهبنا غير بعيد لأن البنية عندنا ليست شرطًا لقبول الحياة، فالأرض مع بقائها على شكلها ويبسها وقشفها يخلق الله فيها الحياة والنطق، والمقصود كأن الأرض تشكو من العصاة وتشكر من أطاع الله، فنقول: إن فلانًا صلى وزكى وصام وحج فيَّ، وإن فلانًا كفر وزنى وسرق وجار، حتى يود الكافر أن يساق إلى النار، وكان علي عليه السلام إذا فرغ بيت المال صلى فيه ركعتين ويقول: لتشهدن أني ملأتك بحق وفرغتك بحق. **والقول الثالث:** -وهو قول المعتزلة- أن الكلام يجوز خلقه في الجماد، فلا يبعد أن

يخلق الله تعالى في الأرض حال كونها جمادًا أصواتًا مقطعة مخصوصة فيكون المتكلم والشاهد على هذا التقدير هو الله تعالى.

السؤال الثالث: (إذا) و(يومئذ) ما ناصبهما؟ **الجواب:** (يومئذ) بدل من إذا وناصبهما تُحَدث.

السؤال الرابع: لفظ التحديث يفيد الاستئناس وهناك لا استئناس فما وجه هذا اللفظ؟ **الجواب:** أن الأرض كأنها تبث شكواها إلى أولياء الله وملائكته.

قوله تعالى: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَٰلَهُمْ ۝٦﴾

أما قوله تعالى: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾، **ففيه سؤالان:**

السؤال الأول: بم تعلقت الباء في قوله: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ﴾؟ **الجواب:** بتُحَدث، ومعناه تحدث أخبارها بسبب إيحاء ربك لها.

السؤال الثاني: لمَ لم يقل أوحى إليها؟ **الجواب:** فيه وجهان: **الأول:** قال أبو عبيدة: ﴿أَوْحَىٰ لَهَا﴾ أي أوحى إليها، وأنشد العجاج:

أَوْحَى لَـهَـا الْـقَـرَارَ فَـاسْـتَـقَـرَّتِ(١)

الثاني: لعله إنما قال (لها) أي فعلنا ذلك لأجلها حتى تتوسل الأرض بذلك إلى التشفي من العصاة.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَٰلَهُمْ﴾ الصدور ضد الورد، فالوارد: الجائي والصادر: المنصرف، وأشتاتًا متفرقين، فيحتمل أن يردوا الأرض، ثم يصدرون عن الأرض إلى عرصة القيامة، ويحتمل أن يردوا عرصة القيامة للمحاسبة ثم يصدرون عنها إلى موضع الثواب والعقاب، فإن قوله: ﴿أَشْتَاتًا﴾ أقرب إلى الوجه الأول ولفظة الصدر أقرب إلى الوجه الثاني، وقوله: ﴿لِّيُرَوْا أَعْمَٰلَهُمْ﴾ أقرب إلى الوجه الأول لأن رؤية أعمالهم مكتوبة في الصحائف أقرب إلى الحقيقة من رؤية جزاء الأعمال، وإن صح أيضًا أن يحمل على رؤية جزاء الأعمال، وقوله: ﴿أَشْتَاتًا﴾ فيه وجوه: **أحدها:** أن بعضهم يذهب إلى الموقف راكبًا مع الثياب الحسنة وبياض الوجه والمنادي ينادي بين يديه: هذا ولي الله، وآخرون يُذهب بهم سود الوجوه حفاة عراة مع السلاسل والأغلال والمنادي ينادي بين يديه: هذا عدو الله. **وثانيها:** ﴿أَشْتَاتًا﴾ أي كل فريق مع شكله، اليهودي مع اليهودي والنصراني مع النصراني. **وثالثها:** أشتاتًا من أقطار الأرض من كل ناحية، ثم إنه سبحانه ذكر المقصود وقال: ﴿لِّيُرَوْا أَعْمَٰلَهُمْ﴾ قال بعضهم: ليروا صحائف أعمالهم؛ لأن الكتابة يوضع بين يدي الرجل فيقول: هذا طلاقك وبيعك هل تراه والمرئي وهو

(١) تقدمت ترجمة العجاج.

الكتاب. وقال آخرون: ليروا جزاء أعمالهم، وهو الجنة أو النار، وإنما أوقع اسم العمل على الجزاء لأنه الجزاء وفاق، فكأنه نفس العمل بل المجاز في ذلك أدخل من الحقيقة، وفي قراءة النبي ﷺ: ﴿لِيَرَوْا﴾ بالفتح.

قوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾

وفيه مسائل:

المسألة الأولى: ﴿مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ أي زنة ذرة، قال الكلبي: الذرة أصغر النمل. وقال ابن عباس: إذا وضعت راحتك على الأرض ثم رفعتها فكل واحد مما لزق به من التراب مثقال ذرة، فليس من عبد عمل خيرًا أو شرًّا قليلاً أو كثيرًا إلا أراه الله تعالى إياه.

المسألة الثانية: في رواية عن عاصم: (يُرَهُ) برفع الياء وقرأ الباقون: (يَرَهُ) بفتحها وقرأ بعضهم: (يَرَهْ) بالجزم.

المسألة الثالثة: في الآية إشكال وهو أن حسنات الكافر محبطة بكفره وسيئات المؤمن مغفورة، إما ابتداء وإما بسبب اجتناب الكبائر، فما معنى الجزاء بمثاقيل الذرة من الخير والشر؟

واعلم أن المفسرين أجابوا عنه من وجوه: أحدها: قال أحمد بن كعب القرظي: فمن يعمل مثقال ذرة من خير وهو كافر فإنه يرى ثواب ذلك في الدنيا حتى يلقى الآخرة وليس له فيها شيء. وهذا مروي عن ابن عباس أيضًا، ويدل على صحة هذا التأويل ما روي أنه عليه السلام قال لأبي بكر: «**يَا أَبَا بَكْرٍ مَا رَأَيْتَ فِي الدُّنْيَا مِمَّا تَكْرَهُ فَبِمَثَاقِيلِ ذَرِّ الشَّرِّ، وَيَدَّخِرُ اللَّهُ لَكَ مَثَاقِيلَ الْخَيْرِ حَتَّى تُوَفَّاهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»(١) **وثانيها:** قال ابن عباس: ليس من مؤمن ولا كافر عمل خيرًا أو شرًّا إلا أراه الله إياه، فأما المؤمن فيغفر الله سيئاته ويثيبه بحسناته، وأما الكافر فترد حسناته ويعذب بسيئاته. **وثالثها:** أن حسنات الكافر وإن كانت محبطة بكفره ولكن الموازنة معتبرة فتقدر تلك الحسنات انحبطت من عقاب كفره، وكذا القول في الجانب الآخر فلا يكون ذلك قادحًا في عموم الآية. **ورابعها:** أن تخصص عموم قوله: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾ ونقول: المراد فمن يعمل

(١) **ضعيف:** رواه العقيلي في (الضعفاء الكبير) (٩/ ١٦٦) حديث رقم (٢١٥١) من طريق الهيثم بن الربيع قال: حدثنا سماك بن عطية، عن أيوب، عن أبي قلابة، عن أنس بن مالك، قال: بينا أبو بكر يأكل مع النبي ﷺ . . . فذكره، ورواه يزيد بن هارون، عن سفيان بن حسين، عن أيوب، عن أبي قلابة، عن أبي أسماء: بينا أبو بكر قاعد مع رسول الله ﷺ . . . فذكره. وقال حماد بن زيد، عن أيوب، قال: وجدت في بعض كتب أبي قلابة، وقال وهيب والثقفي، عن أيوب قال: وجدت في كتاب أبي قلابة، عن أبي إدريس، وحديث وهيب والثقفي أَوْلى، وأورده الهيثمي في (المجمع) (٧/ ٢٩٧) وقال: رواه الطبراني في الأوسط عن شيخه موسى بن سهل، والظاهر أنه الوشاء وهو ضعيف.

من السعداء مثقال ذرة خيرًا يره، ومن يعمل من الأشقياء مثقال ذرة شرًا يره.

المسألة الرابعة: لقائل أن يقول: إذا كان الأمر إلى هذا الحد فأين الكرم؟**والجواب:** هذا هو الكرم؛ لأن المعصية وإن قلَّت ففيها استخفاف، والكريم لا يحتمله، وفي الطاعة تعظيم وإن قل فالكريم لا يضيعه، وكأن الله سبحانه يقول: لا تحسب مثقال الذرة من الخير صغيرًا، فإنك مع لؤمك وضعفك لم تضيع مني الذرة، بل اعتبرتها ونظرت فيها، واستدللت بها على ذاتي وصفاتي واتخذتها مركبًا به وصلت إليَّ، فإذا لم تضيع ذرتي أفأضيع ذرتك؟! ثم التحقيق أن المقصود هو النية والقصد، فإذا كان العمل قليلاً لكن النية خالصة فقد حصل المطلوب، وإن كان العمل كثيرًا والنية دائرة فالمقصود فائت.

ومن ذلك ما روى عن كعب: لا تحقروا شيئًا من المعروف، فإن رجلاً دخل الجنة بإعارة إبرة في سبيل الله، وإن امرأة أعانت بحبة في بناء بيت المقدس فدخلت الجنة. وعن عائشة: (كان بَيْنَ يَدَيْهَا عِنَبٌ فَقَدَّمَتْهُ إِلَى نِسْوَةٍ بِحَضْرَتِهَا، فَجَاءَ سَائِلٌ فَأَمَرَتْ لَهُ بِحَبَّةٍ مِنْ ذَلِكَ الْعِنَبِ، فَضَحِكَ بَعْضُ مَنْ كَانَ عِنْدَهَا، فَقَالَتْ: إِنَّ فِيمَا تَرَوْنَ مَثَاقِيلَ الذَّرَّةِ! وَتَلَتْ هَذِهِ الآيَةَ) ولعلها كان غرضها التعليم، وإلا فهي كانت في غاية السخاوة. روي (أَنَّ ابْنَ الزُّبَيْرِ بَعَثَ إِلَيْهَا بِمِائَةِ أَلْفٍ وَثَمَانِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ فِي غِرَارَتَيْنِ، فَدَعَتْ بِطَبَقٍ وَجَعَلَتْ تَقْسِمُهُ بَيْنَ النَّاسِ، فَلَمَّا أَمْسَتْ قَالَتْ: يَا جَارِيَةُ فُطُورِي هَلُمِّي. فَجَاءَتْ بِخُبْزٍ وَزَيْتٍ، فَقِيلَ لَهَا: أَمَا أَمْسَكْتِ لَنَا دِرْهَمًا نَشْتَرِي بِهِ لَحْمًا نُفْطِرُ عَلَيْهِ؟! فَقَالَتْ: لَوْ ذَكَّرْتِينِي لَفَعَلْتُ ذَلِكَ)[1] وقال مقاتل: نزلت هذه الآية في رجلين كان أحدهما يأتيه السائل فيستقل أن يعطيه التمرة والكسرة والجوزة، ويقول: ما هذا بشيء، وإنما نؤجر على ما نعطي! وكان الآخر يتهاون بالذنب اليسير، ويقول: لا شيء عليَّ من هذا إنما الوعيد بالنار على الكبائر. فنزلت هذه الآية ترغيبًا في القليل من الخير فإنه يوشك أن يكثر، وتحذيرًا من اليسير من الذنب فإنه يوشك أن يكبر، ولهذا قال عليه السلام: «**اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ**»[2].

والله سبحانه وتعالى أعلم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(١) رواه ابن سعد في (الطبقات) (٨/ ٦٦) من طريق هشام بن عروة عن ابن المنكدر عن أم ذرة، وفيها أن ابن الزبير بعث بالمائة ألف إلى عائشة . . . به، وأم ذرة قال ابن حجر في التقريب: مقبولة وقال في (تهذيب التهذيب) (١٢/ ٤٦٧) وذكرها ابن حبان في (الثقات) وقال العجلي: تابعية مدنية ثقة. اهـ.

(٢) متفق عليه أخرجه البخاري في كتاب (الزكاة) باب: (اتقوا النار ولو بشق تمرة) (٣/ ٣٤٧) حديث رقم (١٤١٧) ومسلم في كتاب (الزكاة) باب (الحث على الصدقة ولو بشق تمرة) (٣/ ٦٨/ ٧٠٤) جميعًا من طريق عدي بن حاتم . . . به.

سورة «الزَّلْزَلَة»

مدنيةٌ في قول ابنِ عباسٍ وقتادة(١). ومكّيةٌ في قول ابنِ مسعودٍ وعطاءٍ وجابر(٢). وهي تسعُ آياتٍ.

قال العلماء: وهذه السورةُ فَضْلُها كثير(٣)، وتحتوي على عظيم. رَوَى الترمذيُّ عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: مَن قرأ ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾ عُدِلَتْ له بنصفِ القرآن. ومَن قرأ ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ عُدِلَتْ له بربعِ القرآن، ومَن قرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ عُدِلَتْ له بثُلُثِ القُرْآن». قال: حديثٌ غريبٌ، وفي الباب عن ابن عباس(٤).

ورُوِي عن عليٍّ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن قرأ ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾ أربعَ مرَّاتٍ، كان كَمَن قرأ القرآنَ كلَّه»(٥).

وروى عبد الله بن عمرو بن العاص قال: لمَّا نزلت ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾ بكى أبو بكر، [فقال له رسول الله ﷺ: «ما يبكيك يا أبا بكر؟» قال: أبكتني هذه السورة] فقال النبيُّ ﷺ: «لولا أنَّكم تُخطِئُون وتُذْنِبون ويغفِرُ اللهُ لكم، لَخَلَق أمةً يُخطئون ويُذنبون فيغفرُ لهم، إنَّه هو الغفورُ الرَّحيم»(٦).

---

(١) أخرجه عنهما ابن مردويه، كما في الدر المنثور ٦/ ٣٧٩، وقول ابن عباس أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ٧/ ١٤٤، وذكره النحاس في الناسخ والمنسوخ ٣/ ١٥٣.

(٢) زاد المسير ٩/ ٢٠١.

(٣) في (ظ): كبير.

(٤) سنن الترمذي (٢٨٩٣)، وحديث أنس في إسناده الحسن بن سَلم، وهو مجهول كما ذكر الحافظ في التقريب. وحديث ابن عباس أخرجه الترمذي أيضاً (٢٨٩٤) وقال: حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث يمان بن المغيرة. اهـ. ويمان بن المغيرة ضعيف، كما ذكر الحافظ في التقريب.

(٥) أخرجه الثعلبي، كما ذكر الحافظ في تخريج أحاديث الكشاف ص ١٨٧، قال الحافظ: لكنه من رواية أبي القاسم الطائي، وهو ساقط. اهـ. وله شاهد من حديث أنس ﷺ عند أحمد (١٢٤٨٨)، وفي إسناده سلمة بن وردان، وهو ضعيف كما ذكر الحافظ في التقريب.

(٦) أخرجه الطبري ٢٤/ ٥٦٨، والطبراني (٨٧ - قطعة من الجزء ١٣)، والواحدي في أسباب النزول =

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١﴾

أي: حرِّكَتْ من أَصْلِها. كذا رَوى عِكْرمةُ عن ابن عباس[١]، وكان يقول: في النفخة الأولى يزلزلُها ـ وقاله مجاهدٌ ـ كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ [النازعات:٦] ثم تُزلْزَلُ ثانيةً فتُخرِجُ مَوْتاها، وهي الأثقال[٢]. وذُكِر المصدرُ للتأكيد، ثم أضيف إلى الأرض، كقولك: لأُعطينَّك عَطِيَّتك، أي: عَطيَّتي لك. وحَسُنَ ذلك لموافقة رؤوس الآيِ بعدها.

وقراءةُ العامَّةِ بكسر الزاي من الزلزال، وقرأ الجحدريُّ وعيسى بنُ عمر بفَتْحِها[٣]، وهو مصدرٌ أيضاً، كالوَسواس والقَلقال والجَرْجار. وقيل: الكسرُ المصدرُ، والفتحُ الاسم[٤].

قوله تعالى: ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢﴾

قال أبو عبيدة والأخفش: إذا كان الميت في بطن الأرض، فهو ثِقلٌ لها. وإذا كان فوقها، فهو ثِقلٌ عليها[٥]. وقال ابن عباس ومجاهد: «أثقالها»: موتاها[٦]،

= ص٤٩٦ ، وما سلف بين حاصرتين من هذه المصادر. وأخرج مسلم (٢٧٤٨) وأحمد (٢٣٥١٥) من حديث أبي أيوب ﷺ: «لولا أنكم تذنبون، لخلق الله قوماً يذنبون، فيغفرُ لهم».

(١) أخرجه عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه، كما في الدر المنثور ٦/ ٣٨٠ .

(٢) تفسير الرازي ٣٢/ ٥٨ عن مجاهد.

(٣) القراءات الشاذة ص ١٧٧ .

(٤) قاله الفراء في معاني القرآن ٣/ ٢٨٣ .

(٥) تفسير الرازي ٣٢/ ٥٨ ، وقول أبي عبيدة في مجاز القرآن ٢/ ٣٠٦ .

(٦) أخرج قولهما الطبري ٢٤/ ٥٥٩ .

تُخرجُهم في النفخة الثانية، ومنه قيل للجن والإنس: الثَّقَلان. وقالت الخنساء:

أَبَعْدَ ابنِ عمرٍو مِن آلِ الشَّرِيـــدِ حَلَّتْ به الأرضُ أثقالَها[١]

تقول: لمَّا دُفن عمرو صار حِليةً لأهل القبور من شرفه وسُؤْدُدِه. وذَكَر بعضُ أهلِ العلمِ قال: كانت العربُ تقول إذا كان الرجلُ سفَّاكاً للدماء: كان ثِقلاً على ظهر الأرض، فلمَّا مات حَطَّتِ الأرض عن ظهرها ثِقْلَها.

وقيل: «أَثْقَالَها»: كنوزَها، ومنه الحديثُ: «تَقيءُ الأرضُ أفلاذَ كَبِدِها أمثالَ الأُسْطُوانِ من الذَّهب والفضة...»[٢].

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝٣﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ أي: ابنُ آدم الكافر. فروى الضحاك عن ابن عباس قال: هو الأسود بنُ عبد الأسد. وقيل: أراد كلَّ إنسانٍ يشاهدُ ذلك عند قيامِ الساعةِ في النفخة الأولى؛ مِن مؤمن وكافر. وهذا قولُ مَن جَعَلَها في الدنيا من أشراط الساعة؛ لأنَّهم لا يعلمون جميعاً [أنها] مِن أشراط الساعةِ في ابتداءِ أمرِها، حتى يتحقَّقوا عُمومَها؛ فلذلك سأل بعضُهم بعضاً عنها. وعلى قولِ مَن قال: إنَّ المراد بالإنسان الكفارُ خاصةً، جعلها زلزلةَ القيامة؛ لأنَّ المؤمن معترفٌ بها، فهو لا يَسأل عنها، والكافر جاحدٌ لها، فلذلك يَسأل عنها[٣].

ومعنى ﴿مَا لَهَا﴾ أي: مالَها زُلْزِلتْ. وقيل: مالها أَخْرَجَتْ أثقالها، وهي كلمةُ تعجُّبٍ[٤]، أي: لأيِّ شيءٍ زُلزلت. ويجوزُ أن يُحييَ الله الموتى بعد وقوعِ النفخةِ

---

(١) ديوان الخنساء ص ١٢٠ والكامل للمبرد ٣/ ١٤١٥ ، والبيت من قصيدة ترثي بها أخاها معاوية بن عمرو، وقيل: ترثي بها صخراً. قال المبرد: حلَّت من الحَلْي، تقول: زينت به الأرض الموتى.

(٢) قطعة من حديث أخرجه مسلم (١٠١٣) عن أبي هريرة ﷺ. والأُسْطُوان بضم الهمزة والطاء: جمع أسطوانة، وهي السارية والعمود، وشبهه بالأسطوان لِعظمه وكثرته. شرح صحيح مسلم للنووي ٧/ ٩٨ .

(٣) النكت والعيون ٦/ ٣١٩ ، وما سلف بين حاصرتين منه.

(٤) في (د) و(م): تعجيب.

الأولى، ثم تتحرَّكُ الأرض فتُخرج المَوْتَى وقد رأوا الزلزلةَ وانشقاقَ الأرضِ عن الموتى أحياء، فيقولون من الهول: مالَها؟!

قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَـٰلَهُمْ ۝٦﴾

قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ «يومئذٍ» منصوبٌ بقوله «إذا زلزلت». وقيل: بقوله: «تُحدِّثُ أَخْبارها»، أي: تُخبر الأرضُ بما عُمِل عليها من خيرٍ أو شرٍّ يومئذٍ. ثم قيل: هو من قول الله تعالى. وقيل: مِن قول الإنسان، أي: يقولُ الإنسان: مالَها تحدِّث أخبارها، متعجِّبًا.

وفي الترمذيِّ عن أبي هريرة قال: قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ قال: «أتدرُون ما أخبارُها ـ قالوا: اللهُ ورسولُه أَعْلَم، قال: فإنَّ أخبارها أنْ تشهدَ على كلِّ عبدٍ أو أَمَةٍ بما عَمِل على ظهرها، تقول: عَمِل يومَ كذا، كذا وكذا. قال: فَهَذِه أَخْبارُها». قال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيح غريب[١].

قال الماوَرْديُّ[٢]: قولُه: «يومَئذٍ تُحَدِّث أخبارَها»: فيه ثلاثةُ أقاويل:

أحدها: «تُحَدِّثُ أخبارَها» بأعمالِ العبادِ على ظهرها؛ قاله أبو هريرةَ، ورواه مرفوعاً[٣]. وهو قولُ مَن زعم أنها زَلْزلةُ القيامة.

الثاني: تُحَدِّث أخبارَها بما أَخْرَجتْ من أثقالها؛ قاله يحيى بنُ سلام. وهو قولُ مَن زَعم أنَّها زَلزلةُ أشراطِ الساعة[٤].

---

(١) سنن الترمذي (٣٣٥٣)، وقوله: غريب، ليس في (م) ومطبوع سنن الترمذي، والمثبت من النسخ الخطية وتحفة الأشراف ٩/ ٥٠١ ، وتحفة الأحوذي ٩/ ٢٨٦ . وأخرجه أيضاً أحمد (٨٨٦٧)، وسلف ص١٨٢-١٨٣ من هذا الجزء.

(٢) في النكت والعيون ٦/ ٣١٩ .

(٣) سلف قريباً.

(٤) سقط هذا القول من مطبوع النكت والعيون.

قلت: وفي هذا المعنى حديثٌ رواه ابن مسعودٍ عن رسول الله ﷺ: أنه قال: «إذا كان أَجَلُ العبدِ بأرضٍ، أَوْثَبَتْه الحاجة إليها، حتى إذا بلغ أَقْصَى أثرِه قَبَضَه الله، فتقولُ الأرض يومَ القيامة: رَبِّ هذا ما استَوْدَعْتَني». أخرجه ابن ماجه في سُنَنه. وقد تقدَّم[١].

الثالث: أنَّها تُحدِّثُ بقيام الساعةِ إذا قال الإنسان: مالَها؟ قاله ابن مسعود[٢]. فتخبرُ أنَّ أمر الدنيا قد انقضى، وأمر الآخرةِ قد أَتَى. فيكونُ ذلك منها جواباً لهم عند سؤالهم، ووعيدًا للكافر، وإنذارًا للمؤمن.

وفي حديثها بأخبارها ثلاثةُ أقاويلَ:

أحدها: أنَّ الله تعالى يَقْلِبها حيواناً ناطقًا؛ فتتكلَّمُ بذلك.

الثاني: أنَّ الله تعالى يُحْدِث فيها الكلام.

الثالث: أنه يكون منها بيانٌ يقومُ مقامَ الكلام[٣].

قال الطبريُّ[٤]: تُبين أخبارها بالرجَّةِ والزلزلةِ وإخراجِ الموتى. ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ أي: إنَّها تحدِّث أخبارَها بوحيِ اللهِ «لها»، أي: إليها. والعربُ تضعُ لامَ الصِّفةِ موضعَ «إلى»؛ قال العجَّاج يَصِفُ الأرض:

أوْحَى لها القَرَارَ فاستَقَرَّتِ وشَدَّها بالرَّاسياتِ الثُّبَّتِ[٥]

وهذا قول أبي عبيدة: «أَوْحَى لها» أي: إليها[٦].

---

(١) عند تفسير الآية (٣٤) من سورة لقمان، وهو في سنن ابن ماجه (٤٢٦٣).

(٢) أخرجه الطبري ٢٤/٥٥٨ عن سعيد قال: زُلزلت الأرض على عهد عبد الله، فقال لها: مالَكِ؟ أمَا إنها لو تكلَّمت قامت الساعة. قال الطبري ص ٥٦٠ : وتحديثُها أخبارَها على القول الذي ذكرناه عن عبد الله ابن مسعود، أن تتكلَّم فتقول: إن الله أمرني بهذا، وأوحَى إليَّ به، وأذن لي فيه.

(٣) النكت والعيون ٦/ ٣٢٠ .

(٤) في التفسير ٢٤/ ٥٦٠ .

(٥) ديوان العجاج ص ٢٦١ ، وسلف ٥/ ١٣٠ .

(٦) زاد المسير ٩/ ٢٠٤ ، وتفسير الرازي ٣٢/ ٦٠ ، وبنحوه في مجاز القرآن ٢/ ٣٠٦ .

وقيل: «أوْحَى لها»، أي: أمَرَها؛ قاله مجاهد[١]. وقال السدّيُّ: «أوْحَى لها»، أي: قال لها[٢]. وقيل: سخَّرها.

وقيل: المعنى: يومَ تكونُ الزلزلةُ، وإخراجُ الأرضِ أثقالَها، تحدِّثُ الأرضُ أخبارَها؛ ما كان عليها من الطاعات والمعاصي، وما عُمِلَ على ظهرِها من خيرٍ وشرٍّ. ورُوي ذلك عن الثوريِّ وغيرِه[٣].

﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا﴾ أي: فِرقًا؛ جمع شَتٍّ. قيل: عن موقف الحساب؛ فريقٌ يأخذ جهةَ اليمين إلى الجنة، وفريقٌ آخرُ يأخذ جهةَ الشمالِ إلى النار، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ﴾ [الروم: ١٤] ﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾ [الروم: ٤٣]. وقيل: يرجعون عن الحساب بعد فَراغِهم من الحساب. ﴿أَشْتَاتًا﴾ يعني فِرقًا فِرقًا. ﴿لِّيُرَوْاْ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ يعني ثوابَ أعمالِهم. وهذا كما رُوي عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «ما مِن أحدٍ يومَ القيامةِ إلَّا ويَلُومُ نفسَه، فإنْ كان مُحسِناً يقولُ: لم لا ازدَدْتُ إحساناً؟ وإن كان غيرَ ذلك يقولُ: لم لا نَزَعْتُ عن المعاصي؟» وهذا عند مُعاينةِ الثوابِ والعقاب[٤].

وكان ابن عباس يقول: «أشْتاتًا» متفرّقين على قَدْرِ أعمالِهم؛ أهلُ الإيمانِ على حِدَة، وأهلُ كلِّ دينٍ على حِدَة[٥].

وقيل: هذا الصُّدور، إنَّما هو عند النشور؛ يَصْدُرون أشتاتاً من القبور، فيُصار بهم إلى موقف الحساب، ليُروا أعمالَهم في كتبهم، أو لِيُروا جزاءَ أعمالِهم؛ فكأنهم وَرَدوا القبورَ فدُفِنوا فيها، ثم صَدَروا عنها. والوارد: الجائي. والصادر: المُنْصَرِف.

---

(١) أخرجه الطبري ٢٤/ ٥٦٠ - ٥٦١ .

(٢) النكت والعيون ٦/ ٣٢٠ .

(٣) تفسير الطبري ٢٤/ ٥٦١ .

(٤) تفسير أبي الليث ٣/ ٥٠٠ - ٥٠١ .

(٥) بنحوه في الوسيط ٤/ ٥٤٢ .

«أشتاتا» أي: يُبعثون من أقطار الأرض.

وعلى القول الأول[١] فيه تقديمٌ وتأخير؛ مَجازُه: تحدِّث أخبارها، بأنَّ ربَّك أَوْحَى لها، ليُرَوْا أعمالَهم. واعترَض قولُه: «يَوْمَئِذٍ يَصْدُر الناسُ أَشْتَاتًا» متفرِّقين عن موقف الحساب[٢].

وقراءة العامة: «لِيُرَوا» بضمِّ الياءِ، أي: لِيُريهم اللهُ أعمالَهم. وقرأ الحسن والزهريُّ وقتادةُ والأعرجُ ونصر بنُ عاصم وطلحةُ بفَتْحِها، وروي ذلك عن النبيِّ ﷺ[٣].

قوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾

فيه ثلاثُ مسائلَ:

الأولى: قولُه تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾ كان ابن عباس يقول: مَن يعمَلْ مِن الكفار مثقالَ ذرَّةٍ خيراً يَرَهُ في الدنيا، ولا يُثابُ عليه في الآخرة، ومَن يعمل مثقالَ ذرَّةٍ من شرٍّ عُوقب عليه في الآخرة مع عقابِ الشرك، ومَن يعمل مثقالَ ذرَّةٍ من شرٍّ من المؤمنين يَرَهُ في الدنيا، ولا يعاقَب عليه في الآخرة إذا مات، ويُتجاوَزُ عنه، وإن عمل مثقالَ ذرَّةٍ من خيرٍ يُقْبلْ منه، ويضاعفْ له في الآخرة[٤]. وفي بعض الحديث: الذرَّةُ لا زِنةَ لها[٥].

وهذا مَثَلٌ ضَرَبه الله تعالى: أنَّه لا يُغْفِلُ مِن عملِ ابنِ آدمَ صغيرةً ولا كبيرة. وهو مِثْلُ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النساء: ٤٠]. وقد تقدَّم الكلامُ هناك في

---

(١) يعني القول بأن ﴿يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا﴾ معناه: عن موقف الحساب.

(٢) بنحوه في معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٨٣ - ٢٨٤ ، وزاد المسير ٩/ ٢٠٤ .

(٣) القراءات الشاذة ص ١٧٧ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٥١١ .

(٤) ذكره بنحوه ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٥١١ ، والرازي ٣٢/ ٦١ .

(٥) سلف ٦/ ٣٢١ عن يزيد بن هارون قوله.

الذرّ، وأنّه لا وزنَ له[١].

وذَكَر بعضُ أهلِ اللغةِ أنَّ الذرَّ: أن يضرب الرجل بيده على الأرض، فما عَلِق بها من التراب فهو الذَّرُّ. وكذا قال ابن عباس: إذا وضعتَ يدك على الأرض ورَفَعْتَها، فكلُّ واحدٍ ممَّا لزق به من التراب ذَرَّة[٢].

وقال محمد بن كعب القُرَظِيُّ: فَمَن يَعْمَلْ مثقالَ ذرةٍ من خيرٍ من كافر، يرى ثوابه في الدنيا في نفسه وماله وأهله وولده، حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله خيرٌ. ومَن يعمل مثقالَ ذرّةٍ من شرٍّ من مُؤْمنٍ، يرى عُقوبتَه في الدنيا في نفسه وماله وولده وأهله، حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله شرٌّ[٣]. دليلُه ما رواه العلماءُ الأثباتُ من حديثِ أنس: أنَّ هذه الآية نزلت على النبيِّ ﷺ وأبو بكر يأكل، فأمسك وقال: يا رسول الله، وإنا لنُرَى ما عَمِلْنا من خيرٍ وشرٍّ[٤]؟ قال: «أرأيتَ ما تَكْره[٥]، فهو مثاقيلُ ذرِّ الشرِّ، ويُدَّخر لكم مثاقيلُ ذَرِّ الخير حتى تُعْطَوْه يومَ القِيامة». قال أبو إدريس: إنَّ مِصْداقَه من[٦] كتاب الله: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠][٧].

وقال مقاتل: نزلت في رجلين، وذلك أنّه لمَّا نزل ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ [الإنسان: ٨] كان أحدُهم يأتيه السائل، فيَسْتَقِلُّ أن يعطِيه التمرةَ والكِسْرةَ والجوزة. وكان الآخَر يتهاوَنُ بالذَّنْبِ اليسير، كالكَذبة والغِيبة والنظرة، ويقول: إنّما أَوْعَدَ الله النارَ على الكبائر، فنزلت ترغّبهم في القليل من الخير أن يُعْطُوه؛ فإنَّه يوشِكُ أن

(١) ٦/ ٣٢١.
(٢) تفسير الرازي ٣٢/ ٦١، وأخرجه هناد في الزهد (١٩٣).
(٣) أخرجه الطبري ٢٤/ ٥٦٤.
(٤) في (ظ): أو شر.
(٥) في (م): ما رأيت مما تكره.
(٦) في (م): في.
(٧) أخرجه الطبري ٢٤/ ٥٦٤ - ٥٦٦، والكلام من أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٩٥٩.

يكثر، وتحذِّرُهم اليسيرَ من الذنب، فإنَّه يوشِكُ أن يكثر؛ وقاله سعيد بن جبير. والإِثمُ الصغير في عين صاحبه يومَ القيامة أعظمُ من الجبال، وجميعُ محَاسِنِه أقلُّ في عينه من كلِّ شيء[(١)].

الثانية: قراءةُ العامَّةِ: «يَرَه» بفتح الياء فيهما. وقرأ الجَحْدريُّ والسُّلَميُّ وعيسى بنُ عمر وأبان عن عاصم: «يُرَهْ» بضمِّ الياء[(٢)]، أي: يُريه اللهُ إياه. والأُولى الاختيارُ؛ لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾ الآية [آل عمران: ٣٠]. وسكَّن الهاءَ في قوله: «يَرَه» في الموضعين هشام[(٣)]. وكذلك رواه الكسائيُّ عن أبي بكر[(٤)] وأبي حَيْوة والمغيرة. واختلس يعقوبُ والزهريُّ والجحدرِيُّ وشيبة[(٥)]. وأَشْبَعَ الباقون.

وقيل: «يَرَه»، أي: يرى جزاءَه؛ لأنَّ ما عَمِلَه قد مضى وعُدِمَ فلا يُرَى. وأنشدوا:

إنَّ مَن يَعْتدي ويَكْسِبُ إثْماً ... وَزْنَ مِثْقالِ ذَرَّةٍ سَيَراهُ
ويُجازَى بِفعلِه الشرَّ شرًّا ... وبِفِعْلِ الجميلِ أيضاً جزاه
هكذا قولُه تَبارَكَ رَبِّي ... في إذا زُلزِلتْ وجَلَّ ثَناهُ

الثالثة: قال ابن مسعود: هذه أحكمُ آيةٍ في القرآن[(٦)]، وصَدَق. وقد اتَّفق العلماءُ على عموم هذه الآيةِ، القائلون بالعموم ومَن لم يقل به. وروي [عن][(٧)] كعبِ الأحبارِ أنه قال: لقد أنزل الله على محمدٍ آيتين أحْصَتَا ما في التوراة والإنجيل والزَّبور

(١) تفسير البغوي ٤/ ٥١٦ ، دون قوله: وقاله سعيد بن جبير. وأخرجه عن سعيد بن جبير ابن أبي حاتم، كما في الدر المنثور ٦/ ٣٨١ .

(٢) القراءات الشاذة ص ١٧٧ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٥١٢ . وذكرها ابن مجاهد في السبعة ص ٦٩٤ عن أبان عن عاصم، والمشهور عن عاصم بفتح الياء.

(٣) السبعة ص ٦٩٤ ، والتيسير ص ٢٢٤ .

(٤) ذكرها عن الكسائي عن أبي بكر ابن مجاهد في السبعة ص ٦٩٤ ، والمشهور عنهما: «يرهُ» بإشباع الضم.

(٥) النشر ١/ ٣١١ عن يعقوب.

(٦) تفسير البغوي ٤/ ٥١٦ ، وأخرجه مطولاً عبد الرزاق ٢/ ٣٨٨ - ٣٨٩ .

(٧) زيادة يقتضيها السياق.

والصُّحُف: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾(١).

قال الشيخ أبو مَدْين في قوله تعالى: «فمن يعمل مِثقالَ ذرةٍ خيرًا يره» قال: في الحالِ قبلَ المآل(٢).

وكان النبيُّ ﷺ يسمِّي هذه الآيةَ: الآية الجامعة الفاذَّة، كما في الصَّحيح لمَّا سُئل عن الحُمُر وسكَتَ عن البغال، والجوابُ فيهما واحدٌ؛ لأنَّ البغل والحمارَ لا كَرَّ فيهما ولا فَرَّ، فلمَّا ذَكَر النبيُّ ﷺ ما في الخيل من الأجر الدَّائم، والثوابِ المستمرِّ، سأل السائلُ عن الحُمُر؛ لأنَّهم لم يكن عندهم يومئذٍ بَغْلٌ، ولا دَخَل الحجازَ منها إلَّا بغلةُ النبيِّ ﷺ «الدُّلْدُل»، التي أهداها له المقوقِس، فأفتاه في الحَمِير بعمومِ الآية، وأنَّ في الحمار مثاقيلَ ذرٍّ كثيرةً؛ قاله ابنُ العربيِّ(٣).

وفي «الموطأ»: أنَّ مِسْكيناً استَطْعَم عائشةَ أمَّ المؤمنين وبين يديها عِنَب، فقالت لإنسان: خُذْ حبةً فأعْطِه إياها. فجعل ينظرُ إليها ويَعْجَبُ، فقالت: أتَعْجَبُ! كم ترى في هذه الحَبةِ من مثقال ذرّة(٤).

وروي عن سعد بن أبي وَقَّاص: أنَّه تَصدَّق بتمرتين، فقبض السائلُ يدَه، فقال للسائل: ويَقْبلُ الله منَّا مناقيلَ الذرّ، وفي التمرتين مثاقيلُ ذرٍّ كثيرة(٥).

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية ٦/ ٣ ، والكلام من أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٩٥٩ - ١٩٦٠ .

(٢) من قوله: قال الشيخ أبو مدين، إلى هذا الموضع من (م) وليس في النسخ الخطية. وأبو مدين لعله شعيب بن حسين الأندلسي الزاهد، شيخ أهل المغرب، توفي في نحو سنة (٥٩٠هـ). وهناك شيخ آخر يكنى أبا مدين، وهو شعيب بن يحيى بن أحمد القيرواني ثم الإسكندراني التاجر، توفي سنة (٦٤٥هـ). السير ٢١/ ٢١٩ و٢٣/ ٢٦٨ .

(٣) في أحكام القرآن ٤/ ١٩٦٠ ، والحديث الذي ذكره أخرجه أحمد (٧٥٦٣)، والبخاري (٢٣٧١) ومسلم (٩٨٧) عن أبي هريرة ﷺ، وسلفت قطعة منه ٥/ ٥٢ .

(٤) الموطأ ٢/ ٩٩٧ وفيه: قال مالك: بلغني أن مسكيناً استطعم عائشة...، وقد أخرجه بنحوه متصلاً أبو عبيد في الأموال (٩١١).

(٥) أخرجه بنحوه أبو عبيد في الأموال (٩١٠)، وذكره ابن عبد البر في الاستذكار ٢٧/ ٤٠٨ .

وروى المُطَّلبُ بن حَنْطَب: أنَّ أعرابيّاً سمع النبيَّ ﷺ يَقرؤُها، فقال: يا رسولَ الله، أمِثْقالُ ذرّةٍ! قال: «نعم» فقال الأعرابيُّ: واسَوْأتاه! مِراراً، ثم قام وهو يقولُها، فقال النبيُّ ﷺ: «لقد دَخَلَ قلبَ الأعْرابيِّ الإيمانُ»(١).

وقال الحسن: قَدِم صعصعةُ عمُّ الفَرَزْدقِ على النبيِّ ﷺ، فلمَّا سمع ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ الآيات، قال: لا أُبالي ألّا أسمعَ من القرآن غيرَها، حَسْبي، فقد انتهت الموعظة(٢)؛ ذكره الثعلبيُّ. ولَفْظُ الماورديِّ(٣): ورُوي أنَّ صعصعةَ بنَ ناجية جدَّ الفرزدقِ أتى النبيَّ ﷺ يستقرئُه، فقرأ عليه هذه الآيةَ، فقال صعصعةُ: حسبي حسبي؛ إن عَمِلتُ مِثقالَ ذَرَّةٍ [خيراً رأيتُه، وإن عملتُ مثقال ذرةٍ] شَرًّا رأيتُه.

ورَوَى مَعمر عن زيد بن أسلم: أنَّ رجلاً جاء إلى النبيِّ ﷺ فقال: عَلِّمني ممَّا علَّمك الله. فدَفَعه إلى رجلٍ يعلِّمه، فعلَّمه: «إذا زُلزلت ـ حتى إذا بلغ ـ فَمَن يَعْمَلْ مِثقالَ ذرةٍ خَيراً يَرَه. ومَن يعمل مِثقالَ ذرةٍ شرًّا يَرَه» قال: حسبي. فأُخبر النبيُّ ﷺ فقال: «دَعُوهُ فإنَّه قد فَقُه»(٤).

ويُحكى أنَّ أعرابيًّا أخَّر «خَيْرًا يَرَهُ» فقيل: قدَّمْتَ وأخَّرْتَ. فقال:

خـذا بـطـنَ هَـرْشَـى أو قَـفـاهـا فـإنـهُ ... كِـلا جـانـبـيْ هَـرْشَـى لـهـنَّ طـريـقُ(٥)

---

(١) أخرجه سعيد بن منصور، كما في الدر المنثور ٦/ ٣٨١ .

(٢) أخرجه أحمد (٢٠٥٩٣)، والنسائي في الكبرى (١١٦٣٠)، وابن الأثير في أسد الغابة ٣/ ٢١-٢٢ . وقد أخرجه الطبراني في الكبير (٧٤١١)، والحاكم ٣/ ٦١٣ ، والمزي في ترجمة صعصعة بن معاوية من تهذيب الكمال ١٣/ ١٧٣ - ١٧٤ ، ووقع عندهم: عن الحسن عن صعصعة بن معاوية عم الأحنف ابن قيس، وهو ما صوَّبه ابن الأثير والمزي والحافظ في الإصابة ٥/ ١٤١ - ١٤٢ ، وذكروا أنه ليس للفرزدق عم اسمه صعصعة، لكن جده اسمه صعصعة بن ناجية، وذكروا له صحبة. وينظر حاشية الحديث في مسند أحمد.

(٣) في النكت والعيون ٦/ ٣٢١ - ٣٢٢ ، وما سيأتي بين حاصرتين منه.

(٤) أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٣٨٨ ، وابن بشكوال في غوامض الأسماء المبهمة ١/ ٤٧٢ .

(٥) القراءات الشاذة ص ١٧٧ ، والكشاف ٤/ ٢٧٦ ، والكلام منه. والخبر أخرجه مطولاً صاحب الأغاني ١٢/ ٢٦١ ، والبيت لعقيل بن عُلَّفة من شعراء الدولة الأموية، كما في الأغاني، وطبقات فحول =

سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ

مُختلَفٌ فيها، وآيُها تِسعٌ[1]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) ـ ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾: اضطرابَها المُقدَّرَ لها عند النَّفخةِ الأُولى أو الثَّانيةِ، أو الممكِنَ لها، أو اللائقَ بها في الحكمَةِ.

وقُرِئَ بالفَتحِ[2] وهو اسمُ الحركةِ، وليس في الأبنيةِ فَعْلَالٌ بالفتح إلَّا في المضاعَفِ.

(٢) ـ ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾: ما في جوفِها مِن الدَّفائنِ أو الأمواتِ، جمعُ ثِقَلٍ وهو مَتاعُ البيتِ.

(٣) ـ ﴿وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا﴾ لِمَا يَبهَرُهم مِن الأمرِ الفَظيعِ.

وقيل: المرادُ بالإنسانِ: الكافرُ؛ فإنَّ المُؤمِنَ يعلَمُ ما لها.

(٤) ـ ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ تُحدِّثُ الخلقَ بلسانِ الحالِ ﴿أَخْبَارَهَا﴾: ما لأَجلِه زلزالُها وإخراجُها.

---

(١) قال الداني في «البيان في عد آي القرآن» (ص: ٢٨٣): هي ثمان آيات في المدني الأول والكوفي وتسع في عدد الباقين.

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٧٧) عن الجحدري.

وقيل: يُنطِقُها اللهُ فتُخبِرُ بما عُمِلَ عليها.

و﴿يَوْمَئِذٍ﴾ بدلٌ مِن ﴿إِذَا﴾، وناصِبُهُما ﴿تُحَدِّثُ﴾، أو أصلٌ و﴿إِذَا﴾ مُنتَصِبٌ بمُضمَرٍ[1].

(٥) ـ ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾؛ أي: تحدِّثُ بسببِ إيحاءِ ربِّكَ لها بأَنْ أحدثَ فيها ما دلَّتْ به[2] على الأخبارِ أو أنطقَهَا بها، ويجوزُ أن يكونَ بدلًا مِن ﴿أَخْبَارَهَا﴾، إذ يقال: حدَّثْتُه كذا وبكذا.

واللامُ بمعنى (إلى)، أو على أصلِها إذ لها في ذلك تَشَفٍّ مِن العُصاةِ[3].

(٦) ـ ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ﴾ مِن مَخارِجِهم مِن القبورِ إلى الموقفِ ﴿أَشْتَاتًا﴾: مُتفرِّقينَ بحسبِ مَراتبِهم ﴿لِّيُرَوْا أَعْمَٰلَهُمْ﴾: جزاءَ أعمالِهم. وقُرِئَ بفتحِ الياءِ[4].

---

(١) قوله: «أو أصل» معطوف على قوله: «بدل»؛ أي: غير تابع، فهو منصوب بـ﴿تُحَدِّثُ﴾ أصالة، و﴿إِذَا﴾ منصوب بمقدر على الظرفية كـ: تقوم الساعة، ويحشر الناس، أو بـ: «اذكر» على أنه مفعول به فهي خارجة عن الظرفية والشرطية، ويجوز أن تكون شرطية منصوبة بالجواب المقدر؛ أي: يكون مالاً يدرك كنهه ونحوه. قاله الشهاب.

(٢) في نسخة الفاروقي: «ما دل».

(٣) قوله: «واللام بمعنى إلى» لأنّ المعروف تعدِّي الوحي بـ(إلى) كقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾ [النحل: ٦٨] أو هي لام التعليل أو المنفعة من غير تأويل بـ(إلى) لأنّ الأرض بتحدّثها مع العصاة يحصل لها تشف من العصاة لتفضيحها لهم بذكر قبائحهم فهي منتفعة بذلك. قاله الشهاب.

(٤) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٧٧) عن النبي ﷺ وجماعة، ونسبها ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ٥١١) للحسن والأعرج وحماد والزهري وأبي حيوة.

(٧ ـ ٨) ـ ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ تفصيلٌ لـ﴿يُرَوْا﴾، ولذلك قُرِئَ: (يُرَه) بالضم[1]، وقرأ هشامٌ بإسكانِ الهاء[2].

ولعلَّ حَسَنةَ الكافرِ وسيِّئةَ المُجتنِبِ عن الكبائرِ تؤثِّرانِ في نقصِ الثَّوابِ والعِقابِ.

وقيل: الآيةُ مَشروطةٌ بعدمِ الإحباطِ والمغفرَةِ، أو (مَن) الأولى مَخصوصَةٌ بالسُّعداءِ والثَّانيةُ بالأشقياءِ؛ لقولِه: ﴿أَشْتَاتًا﴾.

والذرَّةُ: النَّملَةُ الصَّغيرةُ، أو الهَباءُ.

عن النَّبيِّ ﷺ: «مَنْ قرَأَ ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾ أربعَ مرَّاتٍ كان كمَنْ قرَأَ القرآنَ كُلَّهُ»[3].

***

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٧٧) عن ابن عباس وعلي بن الحسين، وهارون عن عاصم، وذكرها في «المحرر الوجيز» (٥/ ٥١٢) من رواية أبان عن عاصم، وزاد نسبتها لأبي حيوة، وحميد بن الربيع عن الكسائي.

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٦٩٤).

(٣) قال الحافظ في «الكافي الشاف» (ص: ١٨٧): أخرجه الثعلبي [«تفسيره» (٣٠/ ١٤٠)] من حديث عليٍّ بإسناد أهل البيت، لكنه من رواية أبي القاسم الطائي وهو ساقط، وشاهِدُه عند ابن أبي شيبة والبزار من رواية سلمة بن وردان عن أنس مرفوعا: «إذا زلزلت تعدل ربع القرآن».
قلت: لم أجده عند ابن أبي شيبة، وهو قطعة من حديث سلمة بن وردان عن أنس عند الترمذي (٢٨٩٥)، والبزار (٢٣٠٨ ـ كشف الأستار)، و«الشعب» للبيهقي (٢٥١٥)، ولم ترد هذه القطعة في رواية البزار. وحسنه الترمذي، لكن قال البيهقي: سلمة بن وردان ليس بقوي في الحديث.

سورة الزلزلة[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝٣ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٦ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨ ﴾.

﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴾ الآية هذه السورة مكية. ولما ذكر فيما قبلها كون الكفار يكونون في النار، وجزاء المؤمنين، فكأن قائلاً قال: متى ذلك؟ فقال ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴾. قيل: والعامل فيها مضمر تدلّ عليه الجمل الآتية، تقديره: تحشرون. وأضيف الزلزال إلى الأرض؛ إذ المعنى: زلزالها الذي يستحقه ويقتضيه جِرْمها وعظمها.

﴿ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴾ جعل ما في بطنها أثقالاً.

﴿ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴾ على معنى التعجّب لما يرى من الهول. والظاهر عموم «الإنسان».

﴿ يَوْمَئِذٍ ﴾ أي: يوم إذ زلزلت وأخرجَتْ تُحدّث. والظاهر أنه حديث حقيقة، وقيل، مجاز عن إحداث الله فيها من الأحوال ما يقوم مقام

---

(١) مدنية وهي ثماني آيات.

التحديث باللسان. وفي سنن ابن ماجة[١] حديث في آخره «تقول الأرض يوم القيامة: ياربِّ هذا ما استودعتَني». وعن ابن مسعود: تحدّث بقيام الساعة إذا قال الإنسان: مالها، فتخبر أن أمر الدنيا قد انقضى وأمر الآخرة قد أتى، فيكون ذلك جواباً لهم عن[٢] سؤالهم.

﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ أي: بسبب إيحاء الله تعالى لها. فالباء متعلقة بـ «تحدّث».

﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ﴾ انتصب «يومئذ» بـ «يصدر»، والصَّدَر يكون عن وِرْد، فقال الجمهور: هو كونهم في الأرض مدفونين، والصدر قيامهم للبعث. و﴿أَشْتَاتًا﴾ جمع شتّ، أي: فِرَقاً مؤمن وكافر ومؤمن عاصٍ سائرون إلى العرض ليُروا أعمالهم.

والظاهر تخصيص العامل، أي: فمن يعمل مثقال ذرة خيراً من السعداء، لأن الكافر لا يرى خيراً في الآخرة - وتعميم «[من يعمل] مثقال ذرة شراً» من الفريقين، لأنه تقسيم جاء بعد قوله «يصدر الناس أشتاتاً ليروا أعمالهم». وقرىء: ليروا، بضم الياء وفتحها. ونبّه بقوله «مثقال ذرة» على أن ما فوق الذرة يراه، قليلاً كان أو كثيراً. وهذا يسمّى مفهوم الخطاب؛ وهو أن يكون المذكور والمسكوت عنه في حكم [٥٨٤/ب] واحد، بل يكون المسكوت عنه بالأولى في ذلك الحكم.

والظاهر انتصاب «خيراً» و«شراً» على التمييز لأن «مثقال ذرة» مقدار. وقيل: بدل من «مثقال». وقرىء: يره، بالفتح في الياء فيهما أي: يرى جزاءه من ثواب وعقاب.

---

(١) انظر ٢: ٤٢٠ (ط الألباني).

(٢) ق: عند.

مفردات سورة الزَّلْزَلَة

الذَّرَّة: نملةٌ صغيرةٌ حمراءُ رقيقة، ويقال: إنَّها أصغَرُ ما تكون إذا مضى لها حَوْلٌ[1]، وقال امرؤ القيس:

مِنَ القاصراتِ الطَّرْفِ لو دَبَّ مُحْوِلٌ   مِنَ الذَّرِّ فوقَ الإتْبِ منها لأَثَّرا[2]

وقيل: الذَّرُّ: ما يُرى في شعاع الشمس من الهباء[3].

* * *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ① وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ② وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا ③
يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ④ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ⑤ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا
أَعْمَالَهُمْ ⑥ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ⑦ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا
يَرَهُ ⑧﴾.

هذه السورة مكيَّةٌ في قول ابن عباس ومجاهد وعطاء، مدنيَّةٌ في قول قتادة ومقاتل؛ لأنَّ آخِرَها نزل بسبب رجلين كانا بالمدينة[4].

---

(١) ينظر الكشاف ٤/ ٢٧٥.

(٢) ديوان امرئ القيس ص٦٨. وسلف عند تفسير الآية (٢٣٣) من سورة البقرة. والكلام من المحرر الوجيز ٥/ ٥١٢.

(٣) الكشاف ٤/ ٢٧٦.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٥١٠.

ولمَّا ذُكِرَ فيما قبلَها كَوْنُ الكفار يكونون في النار، وجزاءُ المؤمنين، فكأنَّ قائلاً قال: متى ذلك؟ فقال: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١﴾.

قيل: والعامل فيها مُضْمَرٌ يدلُّ عليه مضمون الجمل الآتية تقديره: تُحشرون[1]. وقيل: اذكُرْ[2]. وقال الزمخشري[3]: تُحدَّث. انتهى.

وأُضيف الزِّلزالُ إلى الأرض؛ إذ المعنى: زلزالها الذي تستحِقُّه ويقتضيه جُرْمُها وعِظَمُها، ولو لم يُضِفْ لصدَق على كلِّ قدرٍ من الزلزال وإن قلَّ، والفرق بين: أكرَمْتُ زيداً كرامةً وكرامته واضح[4].

وقرأ الجمهور: «زِلْزالها» بكسر الزاي. والجَحْدَريُّ وعيسى بفتحها[5]. قال ابن عطية[6]: وهو مصدر كالوسواس. وقال الزمخشري[7]: المكسور مصدر، والمفتوح اسمٌ، وليس في الأبنية فَعْلال بالفتح إلَّا في المُضاعف. انتهى.

أمَّا قوله: والمفتوح اسمٌ، فجعلَه غيرُه مصدراً جاء على فَعْلال بالفتح. ثمَّ قيل: قد يجيء بمعنى اسم الفاعل، فتقول: قَضْقاض[8] في معنى: مُقَضْقِض، وصَلْصال في معنى: مُصَلْصِل. وأمَّا قوله: وليس في الأبنية... إلخ، فقد وُجِدَ فيها فَعْلال بالفتح من غير المضاعف؛ قالوا: ناقةٌ بها خَزْعال[9] بفتح الخاء، وليس بمضاعف.

---

(١) المصدر السابق.
(٢) إملاء ما منَّ به الرحمن ٢/ ٢٩٢.
(٣) في الكشاف ٤/ ٢٧٦.
(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٥١٠ بنحوه.
(٥) القراءات الشاذة ص١٧٧، وإعراب القرآن للنحاس ٥/ ٢٧٥، وابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٥١٠ عن الجحدري، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٤١٦ عن عيسى.
(٦) في المحرر الوجيز ٥/ ٥١٠.
(٧) في الكشاف ٤/ ٢٧٥. وهو مذهب الزجاج في معاني القرآن ٥/ ٣٥١.
(٨) من القَضْقضة: وهي صوت كسر العظام، يقال: أسدٌ قَضْقاض؛ أي: يُقَضْقِض فريسته. الصحاح (قضض).
(٩) يُقال: خَزْعل في مشيته، أي: عَرِجَ. الصحاح (خزعل).

﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢﴾ جعل ما في بطنها أثقالاً لها[١]. وقال النَّقاش والزجَّاج ومنذر بن سعيد: «أثقالها»: كنوزها وموتاها. ورُدَّ بأنَّ الكنوز إنَّما تخرج وقتَ الدجَّال لا يوم القيامة[٢]. وقائل ذلك يقول: هذا الزِّلزال يكون في الدنيا، وهو من أشراط الساعة، وزلزال يوم القيامة كقوله: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ﴾ [النازعات: ٦-٧]. فلا يُرَدُّ عليه بذلك؛ إذ قد أُخِذَ الزِّلزالُ عامًّا باعتبار وَقْتَيه، ففي الأول: أخرجَتْ كنوزَها، وفي الثاني: أخرجَتْ موتاها، وصدق أنَّها زُلزِلَتْ زِلزالَها، وأخرجَتْ أثقالها.

وقيل: «أثقالها»: كنوزها، ومنه قولُه: «تُلقي الأرضُ أفلاذَ كَبِدِها أمثالَ الأُسْطُوانِ من الذهب والفضَّة»[٣].

وقال ابن عباس: موتاها، وهو إشارة إلى البعث[٤]، وذلك عند النفخة الثانية، فهو زلزال يوم القيامة لا الزلزال الذي هو من الأشراط[٥].

﴿وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝٣﴾ يعني: معنى التعجُّب لما يرى من الهول، والظاهر عموم الإنسان. وقيل: ذلك الكافر؛ لأنَّه يرى ما لم يقَعْ في ظَنِّه قطُّ ولا صَدَّقه، والمؤمن وإن كان مؤمناً بالبعث فإنَّه استهوَلَ المرأى، وفي الحديث: «ليس الخَبرُ كالعِيان»[٦]. وقال الجمهور: الإنسان: هو الكافر يرى ما لم يظُنّ.

﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي: يومَ إذ زُلزِلَتْ وأخرجَتْ تُحَدِّثُ.

---

(١) الكشاف ٤/ ٢٧٦.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٥١٠. وقول الزجاج في معاني القرآن له ٥/ ٣٥١.

(٣) قطعة من حديث أخرجه مسلم (١٠١٣) عن أبي هريرة ﷺ. والكلام من تفسير القرطبي ٢٢/ ٤١٧. والأُسْطُوان؛ جمع أُسْطُوانة: وهي السارية والعمود، وشبَّهه بالأُسْطُوان لِعِظَمه وكثرته. شرح صحيح مسلم للنووي ٧/ ٩٨.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٥١٠.

(٥) في (يه) وحدها: من أشراط الساعة. وينظر الكشاف ٤/ ٢٧٦.

(٦) أخرجه أحمد (١٨٤٢)، وابن حبان (٦٢١٣)، والحاكم ٢/ ٣٢١ من حديث ابن عباس ﷺ. وعندهم: «كالمُعاينة» بدل «كالعِيان». وكذلك في المحرر الوجيز ٥/ ٥١٠ والكلام منه.

و«يومئذٍ» بدل من «إذا»، فيعمل فيه لفظ العامل في المُبدَل منه، أو المُكرَّر على الخلاف في العامل في البدل.

﴿تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ الظاهر أنَّه تحديثٌ وكلامٌ حقيقةً، بأن يخلق فيها حياةً وإدراكاً، فتشهد بما عمل عليها من صالح أو فاسد، وهو قول ابن مسعود والثوري وغيرهما، ويشهد له ما جاء في الحديث: «فإنَّه لا يسمع مدى صوت المؤذِّن جِنٌّ ولا إنسٌ ولا شجرٌ إلَّا شهدَ له يومَ القيامة»[1]، وما جاء في الترمذي عنه ﷺ أنه قرأ هذه الآية: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝﴾ قال: «أتدرون ما أخبارُها؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. فقال: «فإنَّ أخبارَها أن تشهدَ على كلِّ عبدٍ أو أَمَةٍ بما عمل على ظهرها، تقول: عمِلَ يوم كذا كذا وكذا. قال: فهذه أخبارُها». هذا حديث حسن صحيح غريب[2].

وقال الطبري وقوم: التحديث مَجازٌ عن إحداث الله تعالى فيها الأحوالَ ما يقوم مقامَ التَّحديث باللسان حتى ينظر من يقول: ما لها إلى تلك الأحوال، فيعلَم لِمَ زُلزِلَتْ، ولِمَ لفَظَتِ الأموات، وأنَّ هذا ما كانت الأنبياءُ ينذِرونه ويُحذِّرون منه[3]. وقال يحيى بن سلَّام: تُحَدِّث بما أخرجت من أثقالها. وهذا هو قول مَنْ زعم أنَّ الزَّلزلة هي التي من أشراط الساعة[4].

وفي «سنن ابن ماجه» حديثٌ في آخره: «تقول الأرض يومَ القيامة: يا ربِّ، هذا ما استودَعْتَني»[5].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٩)، وأحمد (١١٣٠٥) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ. والكلام إلى هنا بنحوه من المحرر الوجيز ٥/ ٥١٠-٥١١.

(٢) سنن الترمذي (٣٣٥٣) من حديث أبي هريرة ﷺ. وقوله: غريب، ليس في (يه) ومطبوع الترمذي، وهو مُثبتٌ في تحفة الأشراف ٩/ ٥٠١، وتحفة الأحوذي ٩/ ٢٨٦. والحديث أخرجه ـ أيضاً ـ أحمد (٨٨٦٧).

(٣) هذا كلام الزمخشري في الكشاف ٤/ ٢٧٦. وقول الطبري نقله عنه مختصراً ابنُ عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٥١١، وهو بمعناه في تفسيره ٢٤/ ٥٦٠.

(٤) تفسير القرطبي ٢٢/ ٤١٨، ونقله عن الماوردي، والظاهر أنه سقط من مطبوع النكت والعيون.

(٥) سنن ابن ماجه (٤٢٦٣) من حديث ابن مسعود ﷺ.

وعن ابن مسعود[١]: تُحدِّث بقيام الساعة إذا قال الإنسان: مالَها، فتُخبِرُ أنَّ أمرَ الدنيا قد انقضى، وأمرَ الآخرة قد أتى، فيكون ذلك جواباً لهم عند سؤالهم.

و«تُحدِّثُ» هنا تتعدَّى إلى اثنين، والأول محذوف، أي: تُحدِّث الناسَ، وليست بمعنى اعلَمْ المنقولة من عَلِمَ المتعدِّية إلى اثنين فتتعدَّى إلى ثلاثة.

﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝﴾ أي: بسبب إيحاء الله، فالباء متعلِّقةٌ بـ«تُحدِّث». قال الزمخشري[٢]: ويجوز أن يكون المعنى: يومئذٍ تُحدِّث بتحديث أنَّ ربَّكَ أوحى لها أخبارَها، على أنَّ تحديثَها بأنَّ ربَّكَ أوحى لها تحديثٌ بأخبارها، كما تقول: نصَحْتَني كلَّ نصيحةٍ بأن نصَحْتَني في الدين. انتهى. وهو كلام فيه عَفْشٌ يُنزَّه القرآنُ عنه[٣].

وقال أيضاً: ويجوز أن يكون «بأنَّ ربَّكَ» بدلاً من «أخبارَها»، كأنَّه قيل: يومئذٍ تُحدِّث بأخبارِها بأنَّ ربَّكَ أوحى لها؛ لأنَّكَ تقول: حدَّثْتُه كذا، وحدَّثْتُه بكذا. انتهى. وإذا كان الفعلُ تارةً يتعدَّى بحرف جَرٍّ، وتارةً يتعدَّى بنفسه، وحرفُ الجَرِّ ليس بزائدٍ، فلا يجوز في تابِعه إلَّا الموافقةُ في الإعراب، فلا يجوز: استغفَرْتُ الذَّنْبَ العظيمِ، بنصب الذنب وجَرِّ العظيم؛ لجواز أنَّكَ تقول: من الذَّنْب، ولا: اختَرْتُ زيداً الرجالَ الكرامِ، بنصب الرجال وخفض الكرام، وكذلك لا يجوز أن تقول: استغفَرْتُ من الذَّنْبِ العظيمَ، بجرِّ الذنب وَنصب العظيم، وكذلك في: اختَرْتُ، فلو كان حرفُ الجرِّ زائداً جاز الإتْباعُ على موضع الاسم بشروطه المُحرَّرة في علم النَّحو، تقول: ما رأيتُ من رجلٍ عاقلاً؛ لأنَّ «مِنْ» زائدة، ومِنْ رجلٍ عاقلٍ، على اللفظ. ولا يجوز نصبُ رجل وجَرُّ عاقل على مراعاة جواز دخول «مِنْ»، وإنْ ورَدَ شيءٌ من ذلك فبابُه الشِّعر[٤].

---

(١) تحرف في (يه) إلى: ابن عباس. وقوله في النكت والعيون ٦/ ٣١٩، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٤١٩.

(٢) في الكشاف ٤/ ٢٧٦، وما قبله منه.

(٣) وتعقَّبه السمين الحلبي في الدر المصون ١١/ ٧٥ بقوله: وأيُّ عَفْشٍ مع صحَّته وفصاحته؟ ولكنْ لمَّا طال تقديرُه من جهة إفادته هذا المعنى الحسن جعلَه عَفْشاً وحاشاه.

(٤) وتعقَّبه السمين الحلبي ـ أيضاً ـ بقوله: ولا أدري كيف يُلزِمُ الزمخشريَّ ما ألزَمَه به من جميع =

وعدَّى «أوحى» باللَّام لا بـ «إلى»، وإن كان المشهور تعدِيَتُها بـ «إلى» لمراعاة الفواصل. وقال العجَّاج يصف الأرض:

أوحى لها القرارَ فاستقَرَّتِ وشَدَّها بالرَّاسياتِ الثُّبَّتِ[1]

فعدَّاها باللام.

وقيل: الموحى إليه محذوف، أي: أوحى إلى ملائكته المُصَرَّفين أن تفعل في الأرض تلك الأفعال. واللَّام في «لها» للسبب، أي: من أجلها ومن حيثُ الأفعال فيها، وإذا كان الإيحاءُ إليها احتمل أن يكون وحيَ إلهام، واحتمل أن يكون برسول من الملائكة[2].

«يومئذٍ يصْدُرُ الناس» انتصب «يومئذٍ» بـ «يَصْدُرُ»[3].

والصَّدَرُ يكون عن وِرْدٍ. وقال الجمهور: هو كونُهم في الأرض مدفونين، والصَّدَر: قيامُهم للبعث[4].

و«أشتاتاً» جمع شَتّ، أي: فِرَقاً؛ مؤمنٌ وكافرٌ وعاصٍ، سائرون إلى العرض

= المسائل التي ذكرها، فإنَّ الزمخشريَّ يقول: إنَّ هذا بدلٌ ممَّا قبله، ثمَّ ذكر مُسَوِّغَ دخول الباء في البدل، وهو أنَّ المُبْدَلَ منه يجوز دخول الباء عليه، فلو حَلَّ البدلُ محلَّ المبدَل منه ومعه الباء لكان جائزاً؛ لأنَّ العامل يتعدَّى به، وذكر مُسوِّغاً لخلوِّ المُبدل منه من الباء فقال: لأنك تقول: حدَّثتُه كذا، وحدَّثتُه بكذا. وأمَّا كونُه يمتنع أن تقول: استغفرتُ الذنبَ العظيمِ، بنصب الذنب وجرِّ العظيم... إلى آخره، فليس في كلام الزمخشري شيءٌ منه البتة. ونظير ما قاله الزمخشري في باب: استغفر، أن تقول: استغفَرْتُ الله ذَنباً من شتمي زيداً، فقولك: من شتمي، بدلٌ من الذنب، وهذا جائزٌ لا محالة.

(١) ديوان العجاج ص٢٦١، وهو في مجاز القرآن ٢/ ٣٠٦، والنكت والعيون ٦/ ٣٢٠، والمحرر الوجيز ٥/ ٥١١.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٥١١ مع تقديم وتأخير.

(٣) وذكر السمين الحلبي في الدر المصون ١١/ ٧٧ وجهين آخرين؛ إمَّا بدلٌ من «يومئذٍ» قبله، وإمَّا منصوب بـ «اذكُرْ» مقدَّراً. قلت: وذكر النحاس في إعراب القرآن ٥/ ٢٧٦ وجهاً ثالثاً وهو النصب على الحال.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٥١١، وما بعده منه.

ليروا أعمالهم. وقال النقَّاش: الصَّدَر؛ قومٌ إلى الجنة وقومٌ إلى النار، ووِرْدُهم هو وِرْدُ المحشر. فعلى الأول المعنى: ليَرى عملَه ويقفَ عليه. وعلى قول النقَّاش: ليَرى جزاءَ عمله، وهو الجنة والنار.

والظاهر تعلُّقُ «ليُرَوا» بقوله: «يَصْدُرُ». وقيل: بـ «أوحى لها» وما بينهما اعتراض[(١)].

وقال ابن عباس: «أشتاتاً»: مُتفرِّقين على قدر أعمالهم، أهلُ الإيمان على حِدَة، وأهلُ كلِّ دينٍ على حِدة[(٢)].

وقال الزمخشري[(٣)]: «أشتاتاً»: بيضُ الوجوه آمنين، وسُودُ الوجوه فَزِعين. انتهى.

ويحتمل أن يكون «أشتاتاً» أي: كلُّ واحدٍ وحدَه لا ناصِرَ له ولا عاضِدَ، كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ﴾ [الأنعام: ٩٤].

وقرأ الجمهور: «لِيُرَوا» بضمِّ الياء. والحسن، والأعرج، وقتادة، وحماد بن سلمة، والزُّهري، وأبو حَيْوة، وعيسى، ونافع في رواية بفتحها[(٤)].

والظاهر تخصيص العامل، أي: فمَنْ يعمَلْ مثقالَ ذرَّةٍ خيراً من السعداء؛ لأنَّ الكافرَ لا يرى خيراً في الآخرة، وتعميمُ مَنْ يعمَلْ مثقالَ ذرَّةٍ شرًّا من الفريقين؛ لأنَّه تقسيمٌ جاء بعد قوله: ﴿يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَٰلَهُمْ﴾[(٥)]. وقاله ابن عباس؛ قال: هذه الأعمال في الآخرة، فيرى الخيرَ كلَّه مَنْ كان مؤمناً، والكافرُ لا يرى في

---

(١) المصدر السابق.

(٢) تفسير القرطبي ٢٢/ ٤٢٠، وهو بنحوه في الوسيط ٤/ ٥٤٢.

(٣) في الكشاف ٤/ ٢٧٦.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٥١١ عن الحسن والأعرج وحماد والزهري وأبي حيوة، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٤٢١ عن الحسن والأعرج وقتادة والزهري. ورُويت هذه القراءة عن النبي ﷺ كما في القراءات الشاذة ص١٧٧، وإعراب القرآن للنحاس ٥/ ٢٧٦، والكشاف ٤/ ٢٧٦، والمشهور عن نافع كقراءة الجمهور.

(٥) الكشاف ٤/ ٢٧٦-٢٧٧ بنحوه.

الآخرة خيراً؛ لأنَّ خيرَه قد عُجِّلَ له في دنياه، والمؤمن تُعجَّلُ له سيئاتُه الصغائرُ في دُنياه، في المصائب والأمراض ونحوها، وما عمِلَ من شرٍّ أو خيرٍ رآه. ونبَّه بقوله: «مثقال ذرَّةٍ» على أنَّ ما فوقَ الذَّرَّة يراه قليلاً كان أو كثيراً، وهذا يُسمَّى مفهوم الخطاب، وهو أن يكون المذكورُ والمسكوتُ عنه في حكمٍ واحدٍ، بل يكون المسكوتُ عنه بالأولى في ذلك الحكم، كقوله: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾[1] [الإسراء: ٢٣].

والظاهر انتصاب «خيراً» و«شرًّا» على التمييز؛ لأنَّ «مثقالَ ذرَّةٍ» مقدارٌ. وقيل: بدل من «مثقال»[2].

وقرأ الجمهور: «يَرَه» بفتح الياء فيهما، أي: يرى جزاءه من ثواب وعقاب.

وقرأ الحسين[3] بن علي، وابن عباس، وعبد الله بن مسلم، وزيد بن علي، والكلبي، وأبو حَيْوة، وخُلَيد بن نَشيط، وأبان عن عاصم، والكسائي في رواية حميد بن الربيع عنه بضَمِّها[4]. وهشام وأبو بكر بسكون الهاء فيهما[5]. وأبو عمرو بضمِّهما مُشبَعَتَين[6]. وباقي السبعة بإشباع الأولى وسكون الثانية، والإسكانُ في الوصل لغةٌ حكاها الأخفش ولم يَحْكِها سيبويه، وحكاها الكسائيُّ ـ أيضاً ـ عن بني كلاب وبني عَقيل[7].

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٥١١ بنحوه مع تقديم وتأخير.
(٢) ينظر إعراب القرآن للنحاس ٥/ ٢٧٦.
(٣) في (يه): الحسن.
(٤) أي: «يُرَه»، وهي في القراءات الشاذة ص١٧٧ عن علي بن الحسين وزيد بن علي وهارون عن عاصم وابن عباس، والمحرر الوجيز ٥/ ٥١٢ عن أبان عن عاصم وابن عباس وأبي حيوة وحميد بن الربيع عن الكسائي. وذكرها ابن مجاهد في السبعة ص٦٩٤ عن أبان عن عاصم، والمشهور عن عاصم كقراءة الجمهور.
(٥) السبعة ص٦٩٤، والتيسير ص٢٢٤، لكن المشهور عن أبي بكر: «يَرَهُ» بإشباع الضم، كقراءة الجمهور.
(٦) هكذا ذكر عنه ابن مجاهد في السبعة ص٦٩٤، وابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٥١٢، والمشهور عنه كقراءة الجمهور كما سيأتي.
(٧) ينظر الحجة للقراء السبعة ٦/ ٤٣٠، والمحرر الوجيز ٥/ ٥١٢. وسلف الكلام على هذه =

وهذه الرؤية رؤيةُ بصر. وقال النقَّاش: ليست برؤية بصر، وإنَّما المعنى: يصيبه ويناله[١].

وقرأ عكرمة: «يراه»[٢] بالألف فيهما، وذلك على لغة مَنْ يرى الجزم بحذف الحركة المُقدَّرة في حروف العِلَّة. حكاها الأخفش. أو على توَهُّم أنَّ «مَنْ» موصولة لا شرطية، كما قيل في: «إنَّه مَنْ يتَّقي ويصبرْ» [يوسف: ٩٠] في قراءة من أثبت ياءَ «يتَّقي»، وجزَمَ «يصبِرْ»، توهَّم أنَّ «مَنْ» شرطية لا موصولة فجزم، «ويصبِرْ» عطفاً على التوَهُّم.

= المسألة عند تفسير الآية (٧٥) من سورة آل عمران.

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٥١٢.

(٢) المصدر السابق.

(٩٩) سورة الزلزلة مدنية وآياتها ثمان

روى الترمذي عن أنَس قال، قال رسول الله ﷺ: « من قرأ إذا زلزلت عدلت له بنصف القرآن »(١). وعن ابن عباس قال، قال رسول الله ﷺ: « إذا زلزلت تعدل نصف القرآن، وقل هو الله أحـد تعدل ثلث القرآن، وقل يا أيها الكافرون تعدل ربع القرآن »(٢). وعن أنَس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال لرجل من أصحابه: « هل تزوجت، يا فلان ؟ » قال: لا والله يا رسول الله، ولا عندي ما أتزوج، قال: « أليس معك قل هو الله أحد ؟ » قال: بلى، قال: « ثلث القرآن »، قال: « أليس معك إذا جاء نصر الله والفتح ؟ » قال: بلى، قال: « ربع القرآن » قال: « أليس معك قل يا أيها الكافرون ؟ » قال: بلى، قال: « ربع القرآن » قال: « أليس معك إذا زلزلت الأرض ؟ » قال: بلى، قال: « ربع القرآن ، تزوج »(٣)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾

قال ابن عباس ﴿إذا زلزلت الأرض زلزالها﴾: أي تحركت من أسفلها ﴿وأخرجت الأرض أثقالها﴾ يعني ألقت ما فيها من الموتى، كقوله تعالى: ﴿إن زلزلة الساعة شيء عظيم﴾، وكقوله: ﴿وألقت ما فيها وتخلت﴾، وفي الحديث: « تلقي الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوان من الذهب والفضة، فيجيء القاتل فيقول في هـذا قتلت. ويجيء القاطع فيقول في هذا قطعت رحمي، ويجيء السارق فيقول في هذا قطعت يدي، ثم يدعونـه

(١) أخرجه الترمذي ، وقال : حسن غريب .

(٢) أخرجه الترمذي ، وقال : غريب .

(٣) أخرجه الترمذي أيضاً ، وقال : حديث حسن .

فلا يأخذون منه شيئاً﴾[1] ، وقوله عزَّ وجلَّ : ﴿وقال الإنسان مالها﴾ أي استنكر أمرها بعدما كانت قارة ساكنة ثابتة، وهو مستقر على ظهرها أي تقلبت الحال، فصارت متحركة مضطربة، قد جاءها من أمر الله تعالى ما قد أعده لها، من الزلزال الذي لا محيد لها عنه، ثم ألقت ما في بطنها من الأموات من الأولين والآخرين، وحينئذ استنكر الناس أمرها، وتبدل الأرض غير الأرض والسماوات، وبرزوا لله الواحد القهار، وقوله تعالى: ﴿يومئذ تحدث أخبارها﴾ أي تحدث بما عمل العاملون على ظهرها، عن أبي هريرة قال: قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿يومئذ تحدث أخبارها﴾ قال: «أتدرون ما أخبارها؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد وأمة بما عمل على ظهرها، أن تقول: عمل كذا وكذا يوم كذا وكذا، فهذه أخبارها»[2].

وفي معجم الطبراني: «تحفظوا من الأرض فإنها أمكم، وإنه ليس من أحد عامل عليها خيراً أو شراً إلا وهي مخبرة»[3] وقوله تعالى: ﴿بأن ربك أوحى لها﴾ قال البخاري: أوحى لها، وأوحى إليها، ووحى لها، ووحى إليها، وكذا قال ابن عباس ﴿أوحى لها﴾ أي أوحى إليها، والظاهر أن هذا مضمن بمعنى أذن لها، وقال ابن عباس: ﴿يومئذ تحدث أخبارها﴾ قال، قال لها ربها قولي، فقالت؛ وقال مجاهد ﴿أوحى لها﴾ أي أمرها، وقال القرظي: أمرها أن تنشق عنهم، وقوله تعالى: ﴿يومئذ يصدر الناس أشتاتاً﴾ أي يرجعون عن موقف الحساب ﴿أشتاتاً﴾ أي أنواعاً وأصنافاً ما بين شقي وسعيد، مأمور به إلى الجنة ومأمور به إلى النار، قال ابن جريج: يتصدعون أشتاتاً فلا يجتمعون آخر ما عليهم، وقال السدي ﴿أشتاتاً﴾ فرقاً.

وقوله تعالى: ﴿ليروا أعمالهم﴾ أي ليجازوا بما عملوه في الدنيا من خير وشر، ولهذا قال: ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾. روى البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «الخيل لثلاثة: لرجل أجر، ولرجل ستر، وعلى رجل وزر» الحديث. فسئل رسول الله ﷺ عن الحمر؟ فقال: «ما أنزل الله فيها شيئاً إلا هذه الآية الفاذة الجامعة: ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾»[4].

وروى الإمام أحمد عن صعصعة بن معاوية عم الفرزدق أنه أتى النبي ﷺ فقرأ عليه: ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾ قال: حسبي أن لا أسمع غيرها[5] ، وفي صحيح البخاري عن عدي مرفوعاً: «اتقوا النار ولو بشق تمرة ولو بكلمة طيبة»، وله أيضاً في الصحيح: «لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تفرغ من دلوك في إناء المستسقي، ولو أن تلقى أخاك ووجهك إليه منبسط»[6]. وفي الصحيح أيضاً: «يا معشر نساء المؤمنات لا تحقرنَّ جارة لجارتها ولو فرسن شاة»[7] يعني ظلفها، وفي الحديث الآخر: «ردوا السائل ولو بظلف محرق». وعن عائشة أن رسول الله ﷺ قال: «يا عائشة استتري من النار ولو بشق تمرة فإنها تسد من الجائع مسدها من الشبعان»[8]. وروي عن عائشة أنها تصدقت بعنبة وقالت: كم فيها من مثقال ذرة، وروى ابن جرير

(١) أخرجه مسلم عن أبي هريرة مرفوعاً.
(٢) أخرجه أحمد والترمذي والنسائي.
(٣) أخرجه الحافظ الطبراني.
(٤) أخرجه الشيخان واللفظ للبخاري.
(٥) أخرجه أحمد والنسائي.
(٦) أخرجه البخاري.
(٧) أخرجه البخاري أيضاً.
(٨) أخرجه أحمد.

عن عبدالله بن عمرو بن العاص أنه قال: لما نزلت: ﴿إذا زلزلت الأرض زلزالها﴾ وأبو بكر الصديق رضي الله عنه قاعد، فبكى حين أنزلت، فقال له رسول الله ﷺ: «ما يبكيك يا أبا بكر»؟ قال: يبكيني هذه السورة، فقال له رسول الله ﷺ: «لولا أنكم تخطئون وتذنبون فيغفر الله لكم لخلق الله أمة يخطئون ويذنبون فيغفر لهم»[1].

وروى ابن أبي حاتم، عن سعيد بن جبير في قول الله تعالى: ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره» ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾ وذلك لما نزلت هذه الآية: ﴿ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً﴾ كان المسلمون يرون أنهم لا يؤجرون على الشيء القليل إذا أعطوه، فيجيء المسكين إلى أبوابهم، فيستقلون أن يعطوه التمرة والكسرة والجوزة ونحو ذلك فيردونه ويقولون: ما هذا بشيء إنما نؤجر على ما نعطي ونحن نحبه، وكان آخرون يرون أنهم لا يلامون على الذنب اليسير: الكذبة والنظرة والغيبة وأشباه ذلك، يقولون: إنما وعد الله النار على الكبائر، فرغّبهم في القليل من الخير أن يعملوه فإنه يوشك أن يكثر، وحذرهم اليسير من الشر، فإنه يوشك أن يكثر، فنزلت﴿فمن يعمل مثقال ذرة﴾[2] يعني وزن أصغر النمل ﴿خيراً يره﴾ يعني في كتابه ويسره ذلك قال: يكتب لكل بر وفاجر بكل سيئة سيئة واحدة وبكل حسنة عشر حسنات، فإذا كان يوم القيامة ضاعف الله حسنات المؤمنين أيضاً بكل واحدة عشراً ويمحو عنه بكل حسنة عشر سيئات فمن زادت حسناته على سيئاته مثقال ذرة دخل الجنة. وروى الإمام أحمد عن عبدالله بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «إياكم ومحقرات الذنوب فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه» وإن رسول الله ﷺ ضرب لهن مثلاً كمثل قوم نزلوا أرض فلاة، فحضر صنيع القوم، فجعل الرجل ينطلق فيجيء بالعود والرجل يجيء بالعود، حتى جمعوا سواداً، وأججوا ناراً، وأنضجوا ما قذفوا فيها[3]

[آخر تفسير سورة إذا زلزلت. ولله الحمد والمنة]

* * *

(١) أخرجه ابن جرير

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم.

(٣) أخرجه الإمام أحمد.

تفسير سورة إذا زلزلت

وهى مكية.

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو عبد الرحمن ، حدثنا سعيد ، حدثنا عياش بن عباس ، عن عيسى ابن هلال الصَّدفى ،عن عبد الله بن عمرو قال: أتى رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : أقرئنى يا رسول الله . قال (١) له : « اقرأ ثلاثا من ذات الر » . فقال له الرجل : كبر سنى واستد (٢) قلبى ، وغَلُظ لسانى . قال : « فاقرأ من ذات (٣) حم » ،فقال مثل مقالته الأولى . فقال : « اقرأ ثلاثا من المسبحات » ، فقال مثل مقالته . فقال الرجل : ولكن أقرئنى ــ يا رسول الله ــ سورة جامعة . فأقرأه : ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴾ حتى إذا فرغ منها قال الرجلُ : والذى بعثك بالحق ، لا أزيد عليها أبداً . ثم أدبر الرجل ،فقال رسول الله ﷺ : « أفلح الرويجل ! أفلح الرويجل ! » ثم قال : «عَلَىّ به » . فجاءه فقال له : « أمرْتُ بيوم الأضحى جعله الله عيدا لهذه الأمة » . فقال له الرجل : أرأيت إن لم أجد إلا مَنيحَةَ أنثى فأضحى بها ؟ قال : « لا ، ولكنك تأخذ من شعرك ، وتقلم أظفارك ، وتقص شاربك ، وتحلق عانتك ، فذاك تمام أضحيتك عند الله ، عز وجل » .

وأخرجه أبو داود والنسائى ، من حديث أبى عبد الرحمن المقرئى (٤) ، به (٥) .

وقال الترمذى : حدثنا محمد بن موسى الحَرَشى البصرى : حدثنا الحسن بن سلْم(٦) بن صالح العجلى ،حدثنا ثابت البُنانى ، عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ:« من قرأ ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ﴾ ،عدلَت له بنصف القرآن» . ثم قال : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث الحسن بن سَلْم(٧) (٨) .

وقد رواه البزار عن محمد بن موسى الحرشى ، عن الحسن بن سلم (٩)، عن ثابت ، عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَد ﴾ تَعدلُ ثلث القرآن ، و ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ﴾ تَعدلُ ربع القرآن » . هذا لفظه .

وقال الترمذى أيضا : حدثنا على بن حُجْر ، حدثنا يزيد بن هارون ،حدثنا يمان بن المغيرة العنزى، حدثنا عطاء ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ﴾ تَعْدلُ نصف القرآن، و﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَد ﴾ تعدل ثلث القرآن ، و﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُون ﴾ تعدل ربع القرآن » . ثم قال : غريب ، لا نعرفه إلا من حديث يمان بن المغيرة (١٠) .

---

(١) فى م : « فقال » . (٢) فى م : « واشتد » . (٣) فى أ : « من ذوات » .
(٤) فى أ : « المقبرى » .
(٥) المسند (٢/١٦٩) وسنن أبى داود برقم (١٣٩٩) وسنن النسائى (٧/٢١٢) .
(٦) فى أ : « مسلم » . (٧) فى م ، أ : « مسلم » .
(٨) سنن الترمذى برقم (٢٨٩٣) .
(٩) فى م ، أ : « مسلم » .
(١٠) سنن الترمذى برقم (٢٨٩٤) .

وقال أيضاً : حدثنا عقبة بن مُكْرَم العَمِّى البصرى ، حدثنى ابن أبى فُدَيْك ، أخبرنى سلمة بن وردان ، عن أنس بن مالك : أن رسول الله ﷺ قال لرجل من أصحابه : « هل تزوجت يا فلان؟» قال : لا ، والله يا رسول الله ، ولا عندى ما أتزوج ؟! قال: « أليس معك ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَد ﴾؟ ». قال: بلى . قال: « ثلث القرآن » . قال : « أليس معك ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ ؟ ». قال : بلى . قال : « ربع القرآن » . قال : « أليس معك ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُون ﴾ ؟». قال : بلى . قال : « ربع القرآن ». قال : « أليس معك ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ ﴾ ؟ ». قال : بلى . قال : « ربع القرآن » تزوج ، [تزوج] (١) » . ثم قال : هذا حديث حسن (٢) .

تفرد بهن ثلاثتهن الترمذى ، لم يروهن غيره من أصحاب الكتب .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا (١) وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا (٢) وَقَالَ الإِنسَانُ مَا لَهَا (٣) يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا (٤) بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا (٥) يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ (٦) فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨) ﴾ .

قال ابن عباس : ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴾ أى : تحركت من أسفلها . ﴿ وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴾ يعنى : ألقت ما فيها من الموتى .قاله غير واحد من السلف . وهذه كقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾ [الحج: ١] ، وكقوله : ﴿ وَإِذَا الأَرْضُ مُدَّتْ . وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴾ [الانشقاق: ٣، ٤] .

وقال مسلم فى صحيحه : حدثنا واصل بن عبد الأعلى ، حدثنا محمد بن فُضَيل ، عن أبيه ، عن أبى حازم ،عن أبى هُرَيرة قال:قال رسول الله ﷺ : « تَقيء الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوان من الذهب والفضة ، فيجيء القاتل فيقول : فى هذا قَتَلْتُ ، ويجيء القاطع فيقول : فى هذا قَطَعتُ رحمى ، ويجيء السارق فيقول : فى هذا قُطِعت يدى ، ثم يَدَعُونه فلا يأخذون منه شيئاً » (٣) .

وقوله : ﴿ وَقَالَ الإِنسَانُ مَا لَهَا ﴾ أى : استنكر أمرها بعد ما كانت قارة ساكنة ثابتة ، وهو مستقر على ظهرها ، أى : تقلبت الحال ، فصارت متحركة مضطربة ، قد جاءها من أمر الله ما قد أعد لها من الزلزال الذى لا محيد لها عنه، ثم ألقت ما فى بطنها من الأموات من الأولين والآخرين، وحينئذ استنكر الناس أمرها وتبدلت الأرض غير الأرض والسموات ، وبرزوا لله الواحد القهار .

وقوله : ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴾ أى : تحدث بما عمل العاملون على ظهرها .

---

(١) زيادة من سنن الترمذى .

(٢) سنن الترمذى برقم (٢٨٩٥) .

(٣) صحيح مسلم برقم (١٠١٣) .

قال الإمام أحمد : حدثنا إبراهيم ، حدثنا ابن المبارك ــ وقال الترمذى وأبو عبد الرحمن النسائى، واللفظ له : حدثنا سُوَيد بن نصر ، أخبرنا عبد الله ــ هو ابن المبارك ــ عن سعيد بن أبى أيوب ، عن يحيى بن أبى سليمان ، عن سعيد المقبُرى ، عن أبى هريرة قال : قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية : ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴾ قال : « أتدرون ما أخبارها ؟ » . قالوا : الله ورسوله أعلم. قال : « فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد وأمة بما عَمِل على ظهرها ، أن تقول : عمل كذا وكذا ، يوم كذا وكذا، فهذه أخبارها » (١) .

ثم قال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح غريب .

وفى معجم الطبرانى من حديث ابن لَهِيعة : حدثنى الحارث بن يزيد ــ سمع ربيعة الجُرَشى ــ : أن رسول الله ﷺ قال : « تحفظوا من الأرض ، فإنها أمكم ، وإنه ليس من أحد عامل عليها خيراً أو شراً ، إلا وهى مُخبرة » (٢) .

وقوله : ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴾ : قال البخارى : أوحى لها وأوحى إليها ، ووحى لها ووحى إليها : واحد (٣). وكذا قال ابن عباس : ﴿ أَوْحَىٰ لَهَا ﴾ أى : أوحى إليها .

والظاهر أن هذا مُضَمَّن [بمعنى] (٤) أذن لها .

وقال شبيب بن بشر ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴾ قال : قال لها ربها : قولى ، فقالت .

وقال مجاهد : ﴿ أَوْحَىٰ لَهَا ﴾ أى : أمرها . وقال القُرَظى : أمرها أن تنشق عنهم .

وقوله : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا ﴾ أى : يرجعون عن مواقف الحساب ، ﴿ أَشْتَاتًا ﴾ أى : أنواعاً وأصنافاً ، ما بين شقى وسعيد ، مأمور به إلى الجنة ، ومأمور به إلى النار .

قال ابن جريج : يتصدعون أشتاتاً فلا يجتمعون آخر ما عليهم .

وقال السُّدِّى : ﴿ أَشْتَاتًا ﴾ : فرقا .

وقوله تعالى : ﴿ لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴾ أى : ليعملوا ويجازوا بما عملوه فى الدنيا ، من خير وشر . ولهذا قال : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ. وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ .

قال البخارى : حدثنا إسماعيل بن عبد الله ، حدثنى مالك عن يزيد بن أسلم ، عن أبى صالح السَّمان عن أبى هُرَيرة : أن رسول الله ﷺ قال : « الخيل لثلاثة : لرجل أجر ، ولرجل ستر ، وعلى رجل وزر ؛فأما الذى له أجر ، فرجل ربطها فى سبيل الله فأطال طِيَلها فى مرج أو روضة ، فما أصابت فى طيلها ذلك فى المرج والروضة كان له حسنات ، ولو أنها قطعت طيلها فاستنَّت شرَفا أو

---

(١) المسند (٢/ ٣٧٤) وسنن الترمذى برقم (٣٣٥٣) وسنن النسائى الكبرى برقم (١١٦٩٣) .

(٢) المعجم الكبير (٥/ ٦٥) وقال الهيثمى فى المجمع (١/ ٢٤١) : « وفيه ابن لهيعة وهو ضعيف » .

(٣) صحيح البخارى (٨/ ٧٢٦) « فتح » .

(٤) زيادة من م ، أ .

شرفين ، كانت آثارها وأرواثها حسنات له ، ولو أنها مرت بنهر فشربت منه ولم يرد أن يَسقَى به كان ذلك حسنات له ، وهى لذلك الرجل أجر . ورجل ربطها تَغَنيا وتعففا ، ولم ينس حق الله فى رقابها ولا ظهورها ،فهى له ستر . ورجل ربطها فخراً ورئاء ونواء ، فهى على ذلك وزر » .فسُئل رسول الله ﷺ عن الحُمُر ، فقال : « ما أنزل الله فيها شيئاً إلا هذه الآية الفاذة الجامعة : ﴿ **فَمَن** [١] **يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ . وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَه** ﴾ .

ورواه مسلم ، من حديث زيد بن أسلم ، به [٢] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد بن هارون ، أخبرنا جرير بن حازم ، حدثنا الحسن ، عن صعصعة بن معاوية ـ عم الفرزدق ـ : أنه أتى النبى ﷺ فقرأ عليه : ﴿ **فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ. وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَه** ﴾ ، قال : حسبى ! لا أبالى ألا أسمع غيرها [٣].

وهكذا رواه النسائى فى التفسير ،عن إبراهيم بن يونس بن محمد المؤدب ، عن أبيه ، عن جرير ابن حازم ، عن الحسن البصرى قال : حدثنا صعصعةُ عم الفرزدق ، فذكره [٤] .

وفى صحيح البخارى ، عن عَدى مرفوعا : « اتقوا النار ولو بِشِقٍّ تمرة ،ولو بكلمة طيبة»[٥] . وفى الصحيح :« لا تَحْقِرَنَّ من المعروف شيئاً ولو أن تفرغ من دلوك فى إناء المستسقى ، ولو أن تلقى أخاك ووجهك إليه منبسط » [٦] . وفى الصحيح أيضاً : « يا نساء [٧] المؤمنات ، لا تحقرن جارة لجارتها ولو فِرْسَنَ شاة » [٨] يعنى : ظلفها . وفى الحديث الآخر : « ردوا السائل ولو بظلْف مُحرَق»[٩].

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن عبد الله الأنصارى ، حدثنا كثير بن زيد ، عن المطلب بن عبد الله ، عن عائشة ، أن رسول الله ﷺ قال : « يا عائشة ، استترى من النار ولو بشق تمرة ،فإنها تسد من الجائع مسدها من الشبعان » . تفرد به أحمد [١٠] .

ورُوىَ عن عائشة أنها تصدقت بعنبة ، وقالت : كم فيها من مثقال ذرة [١١] .

وقال أحمد : حدثنا أبو عامر ، حدثنا سعيد بن مسلم ، سمعت عامر بن عبد الله بن الزبير :

---

(١) فى م ، أ : « من » وهو خطأ .

(٢) صحيح البخارى برقم (٤٩٦٢) وصحيح مسلم برقم (٩٨٧) .

(٣) المسند (٥/ ٥٩) .

(٤) سنن النسائى الكبرى برقم (١١٦٩٤) .

(٥) صحيح البخارى برقم (٧٥١٢) .

(٦) صحيح مسلم برقم (٢٦٢٦) من حديث أبى ذر الغفارى ، رضى الله عنه .

(٧) فى م : « يا معشر نساء » ، وفى أ : « معشر النساء » .

(٨) صحيح البخارى برقم (٢٥٦٦) من حديث أبى هريرة ، رضى الله عنه .

(٩) رواه أحمد فى المسند (٥/ ٣٨١) وأبو داود فى السنن برقم (١٦٦٧) والترمذى فى السنن برقم (٦٦٥) من حديث أم بجيد الأنصارية ، رضى الله عنها . وقال الترمذى : « حديث أم بجيد حديث حسن صحيح ».

(١٠) المسند (٦/ ٧٩) .

(١١) هو فى الموطأ (٢/ ٩٩٧) بلاغاً عن عائشة .

حدثني عوف بن الحارث بن الطفيل : أن عائشة أخبرته : أن النبى ﷺ كان يقول : « يا عائشة ، إياك ومحقرات الذنوب ، فإن لها من الله طالباً » .

ورواه النسائى وابن ماجة ، من حديث سعيد بن مسلم بن بَانَك ، به(١) .

وقال ابن جرير : حدثنى أبو الخطاب الحسانى ، حدثنا الهيثم بن الربيع ، حدثنا سماك بن عطية، عن أيوب ، عن أبى قلابة ، عن أنس قال: كان أبو بكر يأكل مع النبى ﷺ فنزلت هذه الآية: ﴿ فمن (٢) يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يره . وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يره ﴾ ، فرفع أبو بكر يده وقال : يا رسول الله ، إنى أُجزى بما عملتُ من مثقال ذرة من شر ؟ فقال : « يا أبا بكر ، ما رأيت فى الدنيا مما تكره فبمثاقيل ذر الشر ويدخر الله لك مثاقيل ذَر الخير حتى تُوفَاه يوم القيامة » (٣) .

ورواه ابن أبى حاتم ، عن أبيه [عن] (٤) أبى الخطاب ، به . ثم قال ابن جرير :

حدثنا ابن بشار ، حدثنا عبد الوهاب ،حدثنا أيوب قال : فى كتاب أبى قِلابة ، عن أبى إدريس: أن أبا بكر كان يأكل مع النبى ﷺ ،فذكره (٥) .

ورواه أيضاً عن يعقوب ، عن ابن عُلَيَّة ، عن أيوب ،عن أبى قلابة : أن أبا بكر ، وذكره .

طريق أخرى: قال ابن جرير : حدثنى يونس بن عبد الأعلى ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرنى حُيَى ابن عبد الله ، عن أبى عبد الرحمن الحبلى ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال : لما نزلت : ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴾ وأبو بكر الصديق ، رضى الله عنه ، قاعد ، فبكى حين أنزلت ، فقال له رسول الله ﷺ:« ما يبكيك يا أبا بكر ؟ » . قال : يبكينى هذه السورة . فقال له رسول الله ﷺ: « لولا أنكم تخطئون وتذنبون ، فيغفر الله لكم ، لخلق الله أمة يخطئون ويذنبون فيغفر لهم»(٦).

حديث آخر : قال ابن أبى حاتم : حدثنا أبو زرعة وعلى بن عبد الرحمن بن [محمد بن] (٧) المغيرة ــ المعروف بعلان المصرى ــ قالا : حدثنا عمرو بن خالد الحرَّانى ، حدثنا ابن لَهيعة ، أخبرنى هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن أبى سعيد الخدرى قال : لما نزلت : ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يرَهُ . وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يرَهُ ﴾ قلت : يا رسول الله ، إنى لراء عملى؟ قال : « نعم » . قلت : تلك الكبار الكبار ؟ قال : « نعم» . قلت : الصغار الصغار ؟ قال: « نعم » . قلت : وا ثُكلَ أُمى . قال : « أبشر يا سعيد ؛ فإن الحسنة بعشر أمثالها ــ يعنى إلى

---

(١) المسند (٦/ ١٥١) وسنن ابن ماجة برقم (٤٢٤٣) .

(٢) فى أ : « من » وهو خطأ .

(٣) تفسير الطبرى (٣٠/ ١٧٣) ورواه الطبرانى فى المعجم الأوسط برقم (٣٤١٨) « مجمع البحرين » من طريق أبى الخطاب ، به ، وقال : «لم يروه عن أيوب إلا سِماك ، ولا عنه إلا الهيثم . تفرد به زيادة » . قلت : الهيثم بن الربيع ضعيف .

(٤) زيادة من م ، أ .

(٥) تفسير الطبرى (٣٠/ ١٧٤) ورواه البيهقى فى شعب الإيمان برقم (٧١٠٣) والطبرانى فى المعجم الكبير برقم (٨٧) « القطعة المفقودة » من طريق ابن وهب ، به .

(٦) تفسير الطبرى (٣٠/ ١٧٥) .

(٧) زيادة من الجرح والتعديل لابن أبى حاتم (٣/ ١/ ١٩٥) .

سبعمائة ضعف ـ ويضاعف الله لمن يشاء ، والسيئة بمثلها أو يغفر الله ، ولن ينجو أحد منكم بعمله». قلت : ولا أنت يا رسول الله [١] ؟ قال : « ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله منه برحمة » [٢].
قال أبو زُرْعَة : لم يرو هذا غير ابن لَهِيعة .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا يحيى بن عبد الله بن بُكَيْر ، حدثنى ابن لهيعة ، حدثنى [٣] عطاء بن دينار ، عن سعيد بن جبير فى قوله تعالى : ﴿ **فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ . وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ** ﴾ ، وذلك لما نزلت هذه الآية : ﴿ **وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا** ﴾ [الإنسان:٨] ، كان المسلمون يرون أنهم لا يُؤجَرون على الشىء القليل الذى أعطوه ، فيجىء المسكين إلى أبوابهم فيستقلون أن يعطوه التمرة والكسرة والجَوْزة ونحو ذلك ، فيردونه ويقولون : ما هذا بشىء . إنما نُؤجَر على ما نعطى ونحن نحبه . وكان آخرون يَرَون أنهم لا يلامون على الذنب اليسير : الكذبة والنظرة والغيبة وأشباه ذلك ، يقولون : إنما وعد الله النار على الكبائر . فرغبهم فى القليل من الخير أن يعملوه ، فإنه يوشك أن يكثر ،وحذرهم اليسير من الشر ، فإنه يوشك أن يكثر ، فنزلت : ﴿ **فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ** ﴾ يعنى : وزن أصغر النمل ﴿ **خَيْرًا يَرَهُ** ﴾ يعنى : فى كتابه ،ويَسُرُّه ذلك . قال : يكتب لكل بر وفاجر بكل سيئة سيئة واحدة .وبكل حسنة عشر حسنات ، فإذا كان يوم القيامة ضاعف الله حسنات المؤمنين أيضاً ، بكل واحدة عشر ، ويمحو عنه بكل حسنة عشر سيئات ، فمن زادت حسناته على سيئاته مثقال ذرة ، دخل الجنة .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سليمان بن داود ، حدثنا عمران ، عن قتادة ، عن عبد ربه ، عن أبى عياض ، عن عبد الله بن مسعود ؛ أن رسول الله ﷺ قال : « إياكم ومحقرات الذنوب ، فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه » . وإن رسول الله ﷺ ضرب لهن مثلا ، كمثل قوم نزلوا أرض فلاة ، فحضر صَنِيع القوم ، فجعل الرجل ينطلق فيجىء بالعود ، والرجل يجىء بالعود ، حتى جمعوا سوادا ، وأججوا ناراً ، وأنضجوا ما قذفوا فيها [٤] .

[آخر تفسير سورة « إذا زلزلت »] [٥] [ولله الحمد والمنة] [٦]

(١) فى أ : « يا نبى الله » .
(٢) ذكره السيوطى فى الدر المنثور (٨/ ٥٩٤) وعزاه لابن أبى حاتم ،ولآخره شاهد فى الصحيح من حديث أبى هريرة ،رضى الله عنه .
(٣) فى م : « عن » .
(٤) المسند (١/ ٤٠٢) .
(٥) زيادة من م ، أ .
(٦) زيادة من أ .

[تفسير] سورة إذا زلزلت

[وهي مكية]

قال الإمام[١] أحمد(١) : حدثنا أبو عبد الرحمن ، حدثنا سعيد ، حدثنا عياش بن عباس ، عن عيسىٰ بن هلال الصدفي ، عن عبد اللّٰه بن عمرو قال : أتىٰ رجل إلىٰ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فقال : أقرئني يا رسول اللّٰه . قال له : « اقرأ ثلاثًا من [ذات الر][٢] » . فقال[٣] له الرجل : كبر سني واستد قلبي ، وغلظ لساني . قال : « فاقرأ من ذات حم » . فقال مثل مقالته الأولىٰ ، فقال : « اقرأ ثلاثًا من المسبحات » . فقال مثل مقالته ، فقال الرجل : ولكن أقرئني يا رسول اللّٰه سورة جامعة . فأقرأه : ﴿ إذا زلزلت الأرض زلزالها ﴾ . حتىٰ إذا فرغ منها قال الرجل : والذي بعثك بالحق [نبيًا][٤] لا أزيد عليها أبدًا ، ثم أدبر الرجل فقال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « أفلح الرويجل ! أفلح الرويجل ! ثم قال : علي به » . فجاءه فقال له : أمرت بيوم الأضحىٰ جعله اللّٰه عيدًا لهذه الأمة » . فقال له الرجل : أرأيت إن لم أجد إلا منيحة أنثىٰ[٥] فأضحي بها ؟ قال : « لا ، ولكنك تأخذ من شعرك ، وتقلم أظفارك ، وتقص شاربك ، وتحلق عانتك ، فذاك تمام أضحيتك عند اللّٰه عز وجل » .

وأخرجه أبو داود والنسائي من حديث أبي عبد الرحمن المقرئي[٦] به .

وقال الترمذي(٢) : حدثنا محمد بن موسى الحرشي[٧] البصري ، حدثنا الحسن بن سَلْم[٨] بن صالح العجلي ، حدثنا ثابت البناني ، عن أنس قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « من قرأ ﴿ إذا زلزلت ﴾ عدلت له بنصف القرآن » ... ثم قال : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث [الحسن بن سَلْم][٩] .

(١) المسند (١٦٩/٢) (٦٥٧٥) . وأبو داود في كتاب : الصلاة، باب : تحزيب القرآن ، حديث (١٣٩٩) (٥٧/٢). والنسائي في الكبرى في كتاب : عمل اليوم والليلة ، باب : الفضل في قراءة ﴿ تبارك الذي بيده الملك ﴾ ، حديث (١٠٥٥٣) (١٨٠/٦) .

(٢) سنن الترمذي في كتاب : ثواب القرآن ، باب : ما جاء في ﴿إذا زلزلت ﴾ ، حديث (٢٨٩٥) (٨/ ١٠٤) . قال الترمذي : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث هذا الشيخ : الحسن بن سلم .اهـ .

[١] - في خ قبل هذا : « قال الترمذي : حدثنا محمد بن موسى الجويني البصري ، حدثنا الحسن بن مسلم العجلي ، حدثنا ثابت » وانظر تعليق المحقق ط الشعب .

[٢] - في ز : ذوات الراء .

[٣] - في ز : قال .

[٤] - سقط من ت .

[٥] - في ز ، خ : ابني .

[٦] - في ز ،خ : المقرئ .

[٧] - في ز ، خ : الجويني .

[٨] - في ز ، خ : مسلم .

[٩] - ما بين المعكوفين في ز ، خ : « الحسن بن مسلم » .

وقد رواه البزار عن محمد بن موسىٰ الحرشي[١] عن الحسن بن سَلْم[٢] ، عن ثابت ، عن أنس قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « ﴿ **قل هو اللّٰه أحدٌ** ﴾ تعدل ثلث القرآن ، و ﴿ **إذا زلزلت** ﴾ تعدل ربع القرآن » . هذا لفظه .

وقال الترمذي أيضًا(٣) : حدثنا علي بن حجر ، حدثنا يزيد بن هارون ، حدثنا يمان بن المغيرة العنزي ، حدثنا عطاء ، عن ابن عباس قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : ﴿ **إذا زلزلت** ﴾ تعدل نصف القرآن . و ﴿ **قل هو اللّٰه أحد** ﴾ تعدل ثلث القرآن ، ، و ﴿ **قل يا أيها الكافرون** ﴾ تعدل ربع القرآن » . ثم قال : غريب ، لا نعرفه إلا من حديث يمان بن المغيرة .

وقال أيضًا(٤) حدثنا عقبة[٣] بن مكرم العمي البصري ، حدثني ابن أبي فديك ، أخبرني سلمة بن وردان ، عن أنس بن مالك ، أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال لرجل من أصحابه : « هل تزوجت يا فلان ؟ » . قال : لا واللّٰه يا رسول اللّٰه ، ولا عندي ما أتزوج ؟ ! قال : « أليس معك ﴿ **قل هو اللّٰه أحد** ﴾ ؟ » قال : بلىٰ . قال : « ثلث القرآن » . قال : « أليس معك ﴿ **إذا جاء نصر اللّٰه والفتح** ﴾؟ » . قال : بلىٰ . قال : « ربع القرآن » . قال : « أليس معك ﴿ **قل : يا أيها الكافرون** ﴾ ؟» . قال : بلىٰ . قال : « ربع القرآن » . قال : « أليس معك ﴿ **إذا زلزلت الأرض** ﴾ ؟» . قال : بلىٰ ، قال : « ربع القرآن . تزوج ، تزوج[٤] » . ثم قال : هذا حديث حسن . تفرد بهن ثلاثتهن الترمذي ، لم يروهن غيره من أصحاب الكتب .

إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾

قال ابن عباس : ﴿ **إذا زلزلت الأرض زلزالها** ﴾ ، أي : تحركت من أسفلها .

---

(٣) سنن الترمذي في الموضع السابق ، حديث (٢٨٩٦) (١٠٥/٨) .

(٤) سنن الترمذي في الموضع السابق (٢٨٩٧) .

---

[١] - في ز ، خ : الجويني .

[٢] - في ز ، خ : مسلم .

[٣] - في ز ، خ : عبد اللّٰه .

[٤] - سقط من ز ، خ .

﴿ وأخرجت الأرض أثقالها ﴾ ، يعني : ألقت ما فيها من الموتىٰ . قاله غير واحد من السلف . وهذه كقوله تعالىٰ ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم ...﴾ ، وكقوله : ﴿وإذا الأرض مدّت ، وألقت ما فيها وتخلت﴾ . وقال مسلم(٥) في صحيحه : حدثنا واصل ابن عبد الأعلىٰ ، حدثنا محمد بن فضيل ، عن أبيه ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « تلق[١] الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوان من الذهب والفضة ، فيجيء القاتل فيقول : في هذا قتلت . ويجيء القاطع فيقول : في هذا قطعت رحمي . ويجيء السارق فيقول : في هذا قطعت يدي ، ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئًا » .

وقوله : ﴿ وقال الإنسان ما لها ﴾ أي : استنكر أمرها بعد ما كانت قارة ساكنة ثابتة ، وهو مستقر علىٰ ظهرها ، أي : تقلبت الحال ، فصارت متحركة مضطربة ، قد جاءها من أمر اللّٰه ما قد أعده[٢] لها من الزلزال الذي لا محيد لها عنه ، ثم ألقت ما في بطنها من الأموات من الأولين والآخرين ، وحينئذ استنكر الناس أمرها وتبدلت الأرض غير الأرض والسماوات ، وبرزوا للّٰه الواحد القهار .

وقوله : ﴿يومئذٍ تحدث أخبارها﴾ أي : تحدث بما عمل العاملون على ظهرها .

قال الإمام أحمد(٦) : حدثنا إبراهيم ، حدثنا ابن المبارك - وقال الترمذي وأبو عبد الرحمن النسائي ، واللفظ له : حدثنا سويد بن نصر ، أخبرنا عبد اللّٰه هو ابن المبارك عن سعيد بن أبي أيوب ، عن يحيىٰ بن أبي سليمان ، عن سعيد المقبري ، عن أبي هريرة قال : قرأ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم هذه الآية : ﴿ يومئذ تحدث أخبارها ﴾ ، قال : « أتدرون ما أخبارها ؟ » . قالوا : اللّٰه ورسوله أعلم . قال : « فإن أخبارها أن تشهد علىٰ كل عبد وأمة بما عمل علىٰ ظهرها ، أن تقول : عمل كذا وكذا ، [يوم كذا وكذا][٣] . فهذه أخبارها » .

ثم قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح غريب .

وفي معجم الطبراني(٧) من حديث ابن لهيعة : حدثني الحارث بن يزيد - سمع ربيعة

(٥) صحيح مسلم في كتاب : الزكاة ، باب : الترغيب في الصدقة قبل أن لا يوجد من يقبلها ، حديث (٦٢/ ١٠١٣) (١٣٦/٧) .

(٦) المسند (٣٧٤/٢) . والترمذي في كتاب : التفسير ، باب : ومن سورة ﴿ إذا زلزلت الأرض زلزالها ﴾ ، حديث (٣٣٥٠) (٨٠/٩ - ٨١) . والنسائي في الكبرى في كتاب : التفسير ، باب : « سورة الزلزلة » ، حديث (١١٦٩٣) (٥٢٠/٦) .

(٧) معجم الطبراني في « الكبير » (٦٥/٥) (٤٥٩٦) . قال الهيثمي في « المجمع » (٢٤٦/١) : وفيه =

[١] - في ت : تقيء . [٢] - في ت : أعد .
[٣] - في ز : قال . وسقط من خ .

الجرشي - : أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « تحفظوا من الأرض ، فإنها أمكم ، وإنه ليس من أحد عامل عليها خيرًا أو شرًا ، إلا وهي مخبرة » .

وقوله ﴿ بأن ربك أوحىٰ لها ﴾ ، قال البخاري : أوحىٰ لها وأوحىٰ إليها ، ووحىٰ لها ووحىٰ إليها : واحد وكذا قال ابن عباس : ﴿أوحىٰ لها﴾ أي : أوحىٰ إليها . والظاهر أن هذا مضمن أذن لها .

وقال شبيب بن بشر ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : ﴿يومئذٍ تحدث أخبارها﴾ قال : قال لها ربها : قولي فقالت .

وقال مجاهد : ﴿ أوحىٰ لها ﴾ أي : أمرها . وقال القرظي : أمرها أن تنشق عنهم .

وقوله : ﴿ يومئذ يصدر الناس أشتاتًا ﴾ ، أي : يرجعون عن موقف الحساب ، ﴿ أشتاتًا ﴾ ، أي : أنواعًا وأصنافًا ، ما بين شقي وسعيد ، مأمور به إلىٰ الجنة ، ومأمور به إلىٰ النار .

قال ابن جريج : يتصدعون أشتاتًا فلا يجتمعون آخر ما عليهم .

وقال السدي : ﴿أشتاتًا﴾ : فرقًا .

وقوله تعالىٰ : ﴿ ليروا أعمالهم ﴾ ، أي : ليعملوا ويجاوزوا بما عملوه في الدنيا ، من خير وشر ؛ ولهذا قال : ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيرًا يره * ومن يعمل مثقال ذرة شرًا يره ﴾ .

قال البخاري(٨) : حدثنا إسماعيل بن عبد الله ، حدثني مالك ، عن زيد بن أسلم ، عن أبي صالح السمان ، عن أبي هريرة ؛ أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم؛ قال : « الخيل لثلاثة ، لرجل أجر ، ولرجل ستر ، وعلىٰ رجل وزر ؛ فأما الذي له أجر ، فرجل ربطها في سبيل الله فأطال طيلها في مرج أو روضة ، فما أصابت في طيلها ذلك في المرج والروضة كان له حسنات ، ولو أنها قطعت طيلها فاستنت شرفًا أو شرفين ، كانت آثارها وأرواثها حسنات له . ولو أنها مرت بنهر [فشربت][١] منه ولم يرد أن يسقىٰ به كان ذلك حسنات له ، وهي لذلك الرجل أجر ؛ ورجل ربطها تغنيًا وتعففًا ، ولم ينسَ حق الله في رقابها ، ولا ظهورها ، فهي له ستر . ورجل ربطها فخرًا ورياء[٢] ونواء ، فهي علىٰ ذلك وزر » .

= ابن لهيعة وهو ضعيف .

(٨) صحيح البخاري في كتاب : التفسير ، باب : قوله : ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيرًا يره ﴾ ، حديث (٤٩٦٢) (٧٢٦/٨) .

---

[١] - في ز ، خ : قريب .

[٢] - في ت : رئاء .

فسئل رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم عن الحمر ، فقال : « ما أنزل اللّٰه فيها شيئًا إلا هذه الآية الفاذة الجامعة : ﴿ **فمن[١] يعمل مثقال ذرة خيرًا يره * ومن يعمل مثقال ذرة شرًا يره** ﴾ » .

ورواه مسلم(٩) من حديث زيد بن أسلم به .

وقال الإمام أحمد(١٠) : حدثنا يزيد بن هارون ، أخبرنا جرير بن حازم ، حدثنا الحسن ، عن صعصعة بن معاوية - عم الفرزدق - أنه أتىٰ النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فقرأ عليه : ﴿ **فمن[٢] يعمل مثقال ذرة خيرًا يره * ومن يعمل مثقال ذرة شرًا يره** ﴾ ، قال : حسبي ! لا أبالي أن لا أسمع غيرها .

وهكذا رواه النسائي في التفسير، عن إبراهيم بن [يونس بن محمد][٣] المؤدب ، عن أبيه عن جرير بن حازم ، عن الحسن البصري ؛ قال : حدثنا صعصعة عم الفرزدق ... فذكره .

وفي صحيح البخاري(١١) ، عن عدي مرفوعًا : « اتقوا[٤] النار ولو بشق تمرة ، ولو [بكلمة طيبة][٥] » .

وفي الصحيح(١٢) : لا تحقرن من المعروف شيئًا[٦] ولو أن تفرغ من دلوك في إناء المستسقي ، ولو أن تلقىٰ أخاك ووجهك إليه منبسط » .

---

(٩) صحيح مسلم ، كتاب : الزكاة ، باب : إثم مانع الزكاة ، حديث (٩٨٧/٢٤) (٨٩/٧ - ٩٣) .

(١٠) أخرجه أحمد (٥٩/٥) (٢٠٦٥٠) . والنسائي في الكبرى في كتاب : التفسير ، باب : سورة الزلزلة ، حديث (١١٦٩٤) (٥٢٠/٦ - ٥٢١) .

(١١) صحيح البخاري ، كتاب : الرقاق ، باب : من نوقش الحساب عذب ، حديث (٦٥٤٠) (٤٠٠/١١).

(١٢) أخرجه أحمد (٦٣/٥) (٢٠٦٩٠) . والنسائي في الكبرى في كتاب : الزينة ، باب : الاختلاف على أبي إسحاق فيه ، حديث (٩٦٩٩) (٤٨٧/٥) .

كلاهما من حديث جابر بن سليم بهذا اللفظ في حديث طويل ، والحديث عند أحمد وأبي داود والترمذي وغيرهم بنحو ذلك ، ولم أجده في أحد الصحيحين بهذه السياقة والذي في صحيح مسلم من حديث أبي ذر مرفوعًا : « لا تحقرن من المعروف شيئًا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق » ؛ أخرجه مسلم في كتاب : البر والصلة ، باب : استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء ، حديث (٢٦٢٦/١٤٤) (٢٧١/١٦) .

---

[١] - في ز : من .
[٢] - في ز : من .
[٣] - في ز ، خ : محمد بن يونس .
[٤] - في خ : فاتقوا .
[٥] - سقط من ز ، خ .
[٦] - سقط من ز ، ح .

وفي الصحيح أيضًا(١٣) : « يا نساء المؤمنات ؛ لا تحقرن جارة لجارتها[١] ولو فرسن شاة » . يعني : ظلفها[٢] . وفي الحديث الآخر(١٤): « ردوا[٣] السائل ولو بظلفٍ محرق » .

وقال الإمام أحمد(١٥) : حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري ، حدثنا كثير بن زيد ، عن المطلب[٤] بن عبد الله ، عن عائشة ؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يا عائشة ، استتري من النار ولو بشق تمرة ، فإنها تسد من الجائع مسدها من الشبعان » . تفرد به أحمد .

وروي عن عائشة أنها تصدقت بعنبة ، وقالت : كم فيها من مثقال ذرة .

وقال أحمد(١٦) : حدثنا أبو عامر ، حدثنا سعيد بن مسلم ، سمعت عامر بن عبد الله بن الزبير ، حدثني عوف بن الحارث بن الطفيل ، أن عائشة أخبرته ، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول : « يا عائشة ؛ إياك ومحقرات الذنوب ، فإن لها من الله طالبًا » .

ورواه النسائي وابن ماجة من حديث سعيد بن مسلم بن بانك به .

وقال ابن جرير(١٧) : حدثني أبو الخطاب الحساني[٥] ، حدثنا الهيثم بن الربيع ، حدثنا

---

(١٣) أخرجه البخاري في كتاب : الهبة ، حديث (٢٥٦٦) (١٩٧/٥) . وطرفه في [٦٠١٧] . ومسلم في كتاب : الزكاة ، باب : الحث على الصدقة ولو بالقليل ، حديث (٩٠/١٠٣٠) (١٦٨/٧) . كلاهما من حديث أبي هريرة .

(١٤) أخرجه أحمد (٤٣٥/٦) (٢٧٥٥٧) واللفظ له . والنسائي (٨١/٥) كتاب الزكاة ، باب : رد السائل ، وفي الكبرى (٢٣٤٦) (٤٢/٢) . كلاهما من طريق مالك عن زيد بن أسلم عن ابن بجيد الأنصاري عن جدته به .

وأخرجه أبو داود في كتاب : الزكاة ، باب : حق السائل ، حديث (١٦٦٧) (١٢٦/٢) . والترمذي في كتاب : الزكاة ، باب : ما جاء في حق السائل ، حديث (٦٦٥) (٢٦/٣ - ٢٧) . من طريق المقبري عن ابن بجيد بنحوه . قال الترمذي : حسن صحيح . وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (٢٤٠٥) .

(١٥) أخرجه أحمد (٧٩/٦) (٢٤٦١٢) .

(١٦) أخرجه أحمد (١٥١/٦) (٢٥٢٨٦) . أخرجه النسائي في كتاب : الرقائق كما في تحفة الأشراف (١٢/ ٢٥٠) (١٧٤٢٥) . وابن ماجة في كتاب : الزهد ، باب : ذكر الذنوب ، حديث (٤٢٤٣) (٢/ ١٤١٧) . وصححه الألباني في الصحيحة (٥١٣) .

(١٧) تفسير الطبري (٢٦٨/٣٠) .

---

[١] - في خ : جارتها .

[٢] - في ت : خلفها .

[٣] - في ت : رد .

[٤] - في ز ، خ : عبد المطلب .

[٥] - في ز : الحياني . وفي خ : الخبابي .

سماك بن عطية ، عن أيوب ، عن أبي قلابة ، عن أنس ؛ قال : كان أبو بكر يأكل مع النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فنزلت هذه الآية : ﴿ **فمن[١] يعمل مثقال ذرة خيرًا يره * ومن يعمل مثقال ذرة شرًا يره** ﴾ ، فرفع أبو بكر يده وقال : يا رسول اللّٰه ؛ إني أجزى بما عملت من مثقال ذرة من شر ؟ فقال : « يا أبا بكر ؛ ما رأيت في الدنيا مما تكره فبمثاقيل ذر الشر ويدخر اللّٰه لك مثاقيل ذر[٢] الخير حتىٰ توفاه[٣] يوم القيامة » .

ورواه ابن أبي حاتم ، عن [أبيه عن][٤] أبي الخطاب به . ثم قال ابن جرير(١٨) :

حدثنا ابن بشار[٥] ، حدثنا عبد الوهاب ، حدثنا أيوب ؛ قال : في كتاب أبي قلابة ، عن أبي إدريس ، أن أبا بكر كان يأكل مع النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ... فذكره . ورواه أيضًا عن يعقوب ، عن ابن عُلية ، عن أيوب ؛ عن أبي[٦] قلابة : أن أبا بكر ... وذكره .

(طريق أخرىٰ) ، قال ابن جرير(١٩) : حدثني يونس بن عبد الأعلى ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرني يحيي بن عبد اللّٰه عن أبي عبد الرحمن الحُبُلي ، عن عبد اللّٰه بن عمرو بن العاص ؛ أنه قال : لما نزلت : ﴿ **إذا زلزلت الأرض زلزالها** ﴾ ، وأبو بكر الصديق رضي اللّٰه عنه قاعد ، فبكىٰ حين أنزلت ، فقال له رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « ما يبكيك يا أبا بكر ؟ » . قال : يبكيني هذه السورة . فقال له رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « لولا أنكم تخطئون وتذنبون ، فيغفر اللّٰه لكم ، لخلق اللّٰه أمة يخطئون ويذنبون فيغفر لهم » .

(حديث آخر) ، قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة وعلي بن عبد الرحمٰن [بن محمد][٧] بن المغيرة - المعروف بعلان[٨] المصري - قالا : حدثنا عمرو بن خالد الحراني ، حدثنا ابن لهيعة ، أخبرني هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي سعيد الخدري ؛ قال : لما أنزلت[٩] : ﴿ **فمن يعمل مثقال ذرة خيرًا يره * ومن يعمل مثقال ذرة شرًا يره** ﴾ قلت : يا رسول اللّٰه ؛ إني لراء[١٠] عملي ؟ قال : « نعم » . قلت : تلك الكبار الكبار ؟ قال : « نعم » . قلت : الصغار الصغار ؟ قال : « نعم » . قلت : وا ثكل أمي! قال : « أبشر يا أبا[١١] سعيد ؛ فإن الحسنة بعشر أمثالها - يعني إلىٰ سبعمائة ضعف -

(١٨) تفسير الطبري (٣٠/٢٦٨) وليس فيه ذكر عبد الوهاب .
(١٩) أخرجه الطبري (٣٠/٢٧٠) .

[١] - في ز : من .
[٢] - سقط من ز ، خ .
[٣] - في ز : توفا . كذا .
[٤] - سقط من ز ، خ .
[٥] - في ز ، خ : يسار .
[٦] - سقط من ت .
[٧] - سقط من ز ، خ .
[٨] - في ز : علات .
[٩] - في ت : نزلت .
[١٠] - في ز ، خ : لمرائي .
[١١] - سقط من ت .

ويضاعف اللَّه لمن يشاء، والسيئة بمثلها أو يغفر اللَّه، ولن ينجو أحد منكم بعمله». قلت: ولا أنت يا رسول اللَّه؟ قال: «ولا أنا إلا أن يتغمدني اللَّه منه برحمة». قال أبو زرعة: لم يرو هذا غير ابن لهيعة.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة، حدثنا يحيىٰ بن عبد اللَّه بن بكير[١]، حدثني ابن لهيعة، حدثني عطاء بن دينار، عن سعيد بن جبير في قول اللَّه تعالىٰ: ﴿ **فمن يعمل مثقال ذرة خيرًا يره * ومن يعمل مثقال ذرة شرًا يره** ﴾، وذلك لما نزلت هذه الآية: ﴿ **ويطعمون الطعام علىٰ حبه مسكينًا ويتيمًا وأسيرًا** ﴾ كان المسلمون يرون أنهم لا يؤجرون علىٰ الشيء القليل إذا أعطوه، فيجيء المسكين إلىٰ أبوابهم فيستقلون أن يعطوه التمرة[٢] والكسرة والجوزة ونحو ذلك، فيردونه ويقولون: ما هذا بشيء؟ إنما نؤجر علىٰ ما نعطي ونحن نحبه. وكان آخرون يرون أنهم لا يلامون علىٰ الذنب اليسير: الكذبة والنظرة والغيبة وأشباه ذلك، يقولون: إنما وعد اللَّه النار علىٰ الكبائر. فرغبهم في القليل من الخير أن يعملوه، فإنه يوشك أن يكثر، وحذرهم اليسير من الشر، فإنه يوشك أن يكثر، فنزلت: ﴿ **فمن يعمل مثقال ذرة** ﴾، يعني: وزن أصغر النمل[٣] ﴿ **خيرًا يره** ﴾ يعني في كتابه، ويسره ذلك. قال: يكتب لكل بر وفاجر بكل سيئة سيئة واحدة، وبكل حسنة عشر حسنات، فإذا كان يوم القيامة ضاعف اللَّه حسنات المؤمنين أيضًا، بكل واحدة عشرًا، ويمحو عنه بكل حسنة عشر سيئات، فمن زادت حسناته علىٰ سيئاته مثقال ذرة، دخل الجنة.

وقال الإمام أحمد(٢٠): حدثنا سليمان بن داود، حدثنا عمران، عن قتادة، عن عبد ربه، عن أبي عياض، عن عبد اللَّه بن مسعود؛ أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم؛ قال: «إياكم ومحقرات الذنوب، فإنهن يجتمعن علىٰ الرجل حتىٰ يهلكنه». وإن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ضرب لهن مثلًا كمثل قوم نزلوا أرض فلاة، فحضر صنيع القوم، فجعل الرجل ينطلق فيجيء بالعود، والرجل يجيء بالعود، حتىٰ جمعوا سوادًا، وأججوا نارًا، وأنضجوا ما قذفوا فيها.

[آخر تفسير سورة «إذا زلزلت» ولله الحمد]

☆ ☆ ☆

(٢٠) مسند أحمد (٤٠٢/١ - ٤٠٣) (٣٨١٨). وصححه أحمد شاكر.

[١] - في ز، خ: بكر.
[٢] - في ز: تمرة.
[٣] - في ز: نمل.

/ سورة الزلزلة [٣١٤و]

مختلَف فيها، وهي تسع آياتٍ.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ زِلۡزَالَهَا ۝١ وَأَخۡرَجَتِ ٱلۡأَرۡضُ أَثۡقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝٣ يَوۡمَئِذٖ تُحَدِّثُ أَخۡبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوۡحَىٰ لَهَا ۝٥ يَوۡمَئِذٖ يَصۡدُرُ ٱلنَّاسُ أَشۡتَاتٗا لِّيُرَوۡاْ أَعۡمَٰلَهُمۡ ۝٦ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ۝٨﴾

﴿إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ﴾ أي: حُرِّكت تحريكًا عنيفًا متكرِّرًا متداركًا ﴿زِلۡزَالَهَا﴾ أي: الزلزالَ المخصوص بها على مقتضى المشيئة الإلهيّة المبنيّة على الحِكم البالغة، وهو الزلزال الشديد الذي لا غايةَ وراءه، أو زلزالَها العجيب الذي لا يُقادَر قَدْره، أو زلزالَها الداخل في حيّز الإمكان. وقُرئ بفتح "الزاء"،[1] وهو اسم، وليس في الأبنية "فَعْلال" بالفتح إلّا في المضاعَف،[2] وقولُهم: "ناقة خَزْعال" نادرٌ.[3] وقد قيل: "الزَّلزال" بالفتح أيضًا، مصدر كـ"الوَسواس" و"الجَرجار" و"القَلقال".[4]

وذلك عند النفخة الثانية لقوله عزّ وجلّ: ﴿وَأَخۡرَجَتِ ٱلۡأَرۡضُ أَثۡقَالَهَا﴾ أي: ما في جوفها مِن الأموات والدفائن، جمع "ثِقْل"، وهو متاع البيت. وإظهارُ ﴿ٱلۡأَرۡضُ﴾ في موقع الإضمار لزيادة التقرير، أو للإيماء إلى تبدُّل الأرض غيرَ الأرض، أو لأنّ إخراج الأثقال حالُ بعض أجزائها.

﴿وَقَالَ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ أي: كلّ فرد مِن أفراده، لِما يدهَمهم مِن الطامّة التامّة ويبهرهم مِن الدّاهية العامّة. ﴿مَا لَهَا﴾ زُلزِلت هذه المرتبة الشديدة مِن الزلزال،

---

١ قراءة شاذّة، مرويّة عن الجَحدري. شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ١٧٧.

٢ الكلام في الكشّاف للزمخشري، ٥٩٣/٤.

٣ نقله الجوهري في الصحاح، «خزعل»، عن الفرّاء، وفيه: «ناقة بها خَزعال، أي: ظَلَع».

٤ الكلام في تفسير القرطبي، ١٤٧/٢٠، ونقله عنه ابن عادل في اللباب، ٤٤٥/٢٠.

وأخرجت ما فيها مِن الأثقال، استعظامًا لِما شاهدوه مِن الأمر الهائل، وقد سُيِّرت الجبال في الجوّ وصُيِّرت هباءً. وقيل: هو قول الكافر؛ إذ لم يكن مؤمنًا بالبعث.[١] والأظهر هو الأوّل، على أنّ المؤمنَ يقوله بطريق الاستعظام، والكافرَ بطريق التعجّب.

﴿يَوْمَئِذٍ﴾ بدل مِن ﴿إِذَا﴾، وقوله تعالى: ﴿تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ عامل فيهما، ويجوز أن يكون ﴿إِذَا﴾ منتصبًا بمضمر، أي: يوم إذ زُلزِلت الأرض تُحدِّث الخلقَ أخبارَها إمّا بلسان الحال حيث تدلّ دلالةً ظاهرةً على ما لأجله زِلزالُها وإخراجُ أثقالها، وإمّا بلسان المقال حيث يُنطقها الله تعالى فتُخبِر بما عُمل عليها مِن خير وشرّ. ورُوي عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: «أنّها تشهد على كلّ أحد بما عَمِل على ظهرها».[٢] وقُرئ: "تُنَبِّئُ أَخْبَارَهَا"[٣] وقُرئ: "تُنْبِئُ"[٤] مِن الإنباء.

[٣١٤ظ] ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ أي: تُحدِّث أخبارها بسبب إيحاء ربّك لها / وأمرِه إيّاها بالتحديث، على أحد الوجهين، ويجوز أن يكون بدلًا مِن ﴿أَخْبَارَهَا﴾، كأنّه قيل: تحدِّث بأخبارها بأنّ ربّك أوحى لها؛[٥] لأنّ التحديث يُستعمل بـ"الباء" وبدونها، وأوحى لها بمعنى أوحى إليها.

﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي: يوم إذ يقع ما ذُكر ﴿يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ﴾ مِن قبورهم إلى موقف الحساب ﴿أَشْتَاتًا﴾ متفرِّقين بحسب طبقاتهم: بيضَ الوجوه آمنين، وسودَ الوجوه فزعين، كما مرّ في قوله تعالى: ﴿فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ [النبأ، ١٨/٧٨]. وقيل: يصدرون عن الموقف أشتاتًا: ذات اليمين إلى الجنّة، وذات الشمال إلى النار.[٦] ﴿لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾ أي: أجزية أعمالهم خيرًا كان أو شرًّا. وقُرئ: "لَيَرَوا"[٧] بالفتح.

---

١ القول في الكشّاف للزمخشري، ٥٩٣/٤.

٢ مسند أحمد، ٤٥٥/١٤ (٨٨٦٧)؛ سنن الترمذي، ٦١٩/٤-٦٢٠ (٢٤٢٩)؛ الكشّاف للزمخشري، ٥٩٣/٤.

٣ قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن مسعود. المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ١٩٤٣.

٤ س - "تنبئ". | قراءة شاذّة، مرويّة عن سعيد بن جبير. المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ١٩٤٣.

٥ الوجه في الكشّاف للزمخشري، ٥٩٣/٤.

٦ القول في الكشّاف للزمخشري، ٥٩٤/٤.

٧ قراءة شاذّة، مرويّة عن أبي حَيْوَة وقتادة والزّعفراني وحمّاد بن سلمة. المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ١٩٤٤.

وقوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ تفصيل ﴿لِّيُرَوْا۟﴾. وقُرئ: "يُرَهْ".[١] والذرّة: النملة الصغيرة. وقيل: ما يُرى في شعاع الشمس مِن الهَباء.[٢] وأيًّا ما كان فمعنى رؤية ما يعادلها مِن خير وشرّ إمّا مشاهدة جزائه، فـ﴿مَن﴾ الأولى مختصّة بالسُّعداء والثانية بالأشقياء، كيف لا، وحسنات الكافر مُحبَطة بالكفر، وسيّئات المؤمن المجتنِب عن الكبائر معفوّة.

وما قيل: مِن أنّ حسنة الكافر تؤثّر في نقص العقاب يردّه قوله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان، ٢٥/٢٣]. وأمّا مشاهدة نفسه مِن غير أن يعتبَر معه الجزاء ولا عدمه؛ بل يفوَّض كلّ منهما إلى سائر الدلائل الناطقة بعفو صغائر المؤمن المجتنِب عن الكبائر وإثابته لجميع حسناته، وبحبوط حسناتِ الكافر ومعاقبتِه لجميع معاصيه، فالمعنى ما رُوي عن ابن عبّاس رضي الله عنهما: «ليس مِن مؤمن ولا كافر عَمِل خيرًا أو شرًّا إلّا أراه الله تعالى إيّاه، أمّا المؤمن فيغفر له سيّئاته ويُثيبه بحسناته، وأمّا الكافر فيردّ حسناته تحسُّرًا ويعاقب بسيّئاته».[٣]

عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: «مَن قرأ سورة ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾ أربع مرّات كان كمَن قرأ القرآن كلّه».[٤]

---

١ قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن عبّاس والحسن وزيد بن عليّ وأبان بن عاصم وابن أبي عبلة. **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٥٢٠.

٢ القول في **الكشّاف** للزمخشري، ٥٩٤/٤.

٣ **جامع البيان** للطبري، ٥٦٣/٢٤؛ **معالم التنزيل** للبغوي، ٥٠٢/٨-٥٠٣.

٤ **الكشف والبيان** للثعلبي، ١٤٠/٣٠ (البينة، ١/٩٩)؛ **التفسير الوسيط** للواحدي، ٥٤٢/٤ (البينة، ١/٩٩)؛ **الكشّاف** للزمخشري، ٥٩٤/٤. وهو جزء مِن حديث أُبيّ بن كعب رضي الله عنه في فضائل السور. انظر: **الموضوعات** لابن الجوزي، ٢٤٠/١.

٩٩

سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ

مكية أو مدنية، تسعُ آيات.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿إذا زُلزِلَتِ الأرضُ﴾: حُرّكتْ لقيام الساعة ﴿زِلزالَها﴾: تحريكَها الشديد المُناسب لعِظَمها، ٢ ـ ﴿وأخرَجَتِ الأرضُ أثقالَها﴾: كُنوزها وموتاها فألقتها على ظهرها، ٣ ـ ﴿وقالَ الإنسانُ﴾ أي: الكافر بالبعث: ﴿ما لَها﴾؟ إنكارًا لتلك الحالة، ٤ ـ ﴿يَومَئِذٍ﴾: بدلٌ من «إذا» وجوابها: ﴿تُحَدِّثُ أخبارَها﴾: تُخبِرُ بما عُمل عليها من خير وشرّ ٥ ـ ﴿بِأنَّ﴾: بسبب أنّ ﴿رَبَّكَ أوحَى لَها﴾ أي: أمرَها بذلك. في الحديث «تَشهَدَ على كُلِّ عَبدٍ أو أمةٍ بكُلِّ ما عَمِلَ على ظَهرِها».

٦ ـ ﴿يَومَئِذٍ يَصدُرُ النّاسُ﴾: ينصرفون من موقف الحِساب ﴿أشتاتًا﴾: مُتفرّقين، فآخذٌ ذاتَ اليمين إلى الجنّة وآخذٌ ذاتَ الشِّمال إلى النار، ﴿لِيُرَوا أعمالَهُم﴾ أي: جزاءها من الجنّة أو النار. ٧ ـ ﴿فمَن يَعمَلْ مِثقالَ ذَرّةٍ﴾: زِنةَ نملةٍ صغيرة ﴿خيرًا يَرَهُ﴾:..

سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ

قولُهُ: (لِعَظَمِهَا) أي: السَّاعَة؛ أي: اللَّائِق بها في الحِكمَةِ، أو المقدَّرَ لها عندَ النَّفخةِ الثَّانيَةِ.

قولُهُ: (الكَافِرُ) فإنَّ المؤمِنَ يعلَمُ ما لها، أو الجِنس؛ لما يبهَرُهُم من الأمرِ الفظيعِ.

قولُهُ: (وجَوابُهَا) وناصِبُها: ﴿تُحَدِّثُ﴾.

قولُهُ: (أي: أَمرَهَا) واللَّامُ بمَعنى: إلى.

قولُهُ: (مُتَفَرِّقِينَ) بحسَبِ مراتِبِهِم.

يرَ ثوابه، ٨ ـ ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ﴾: يرَ جزاءه.

قولُهُ: (يَرَ ثَوَابَه) أي: في الجنَّةِ، وقالَ الإمامُ جعفرٌ[1]: ﴿فَمَن يَعمَل مِثقَالَ ذَرَّة خَيراً يَرَه﴾ في الدُّنيا إذا كانَ مُشرِكاً ﴿ومَن يَعمَل مِثقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَه﴾ في الدُّنيا إن كانَ مُسلِماً.

قالَ الواسطِيُّ[2]: إذا كانَ من أصلِ الإسلامِ أنَّ الأعراض لا تُرى ولا تَبقى وَقتَينِ، فكيفَ يجوزُ أن يُرى؟ قيل: القُرآنُ صفَةُ الله، وإنَّ الصِّفةَ لا تَبِينُ من الموصُوف، وهو يُرى في الأرضِ مَكتوباً؛ فكذا الأعمالُ ذكرَهُ في «نَفائسِ العَرائِس»، والله تعالى أعلمُ.

* * *

(١) وانظر: «عرائس البيان» (٣/ ٥٢٢).

(٢) وانظر: «حقائق التفسير» (٢/ ٤١٤)، و«عرائس البيان» (٣/ ٥٢٢).

سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ

ويقال: سورة: إذا زُلْزِلَت. وهي مكية في قول ابن عباس ومجاهد وعطاء، ومدنيةٌ في قول قتادة ومقاتل[1]، واستدلَّ له في «الإتقان» بما أخرجه ابن أبي حاتم عن أبي سعيد الخدريِّ رضي الله عنه قال: لَمَّا نزلت: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ إلخ قلتُ: يا رسول الله، إني لراءٍ عملي؟ قال: «نعم». قلت: تلك الكبارَ الكبارَ؟ قال: «نعم». قلت: الصغارَ الصغارَ؟ قال: «نعم». قلتُ: وا ثُكلَ أمي. قال: «أبشِر يا أبا سعيد، فإنَّ الحسنةَ بعشرِ أمثالها» الحديث. وأبو سعيد لم يكن إلا بالمدينة، ولم يبلغ إلا بعد أُحُد[2].

وآيها ثمان في الكوفي والمدني الأوَّل، وتسعٌ في الباقية[3].

وصحَّ في حديث الترمذيِّ والبيهقيِّ وغيرهما عن ابن عباس مرفوعاً: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾ تَعدِل نصفَ القرآن[4]. وجاء في حديثٍ آخر تسميتُها رُبعاً[5].

---

(١) البحر ٨/ ٥٠٠، وورد في هامش الأصل: وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس أنها نزلت بالمدينة. اهـ. وعزاه لابن مردويه السيوطي في الدر ٦/ ٣٧٩.

(٢) الإتقان ١/ ٤١، والحديث ذكره أيضاً ابن كثير عند تفسير هذه السورة عن ابن أبي حاتم بإسناده، وفيه ابن لهيعة وهو سيئ الحفظ، وهشام بن سعد وهو ضعيف.

(٣) ورد هنا في هامش الأصل: اختلافها: ﴿أَشْتَاتًا﴾ [الآية: ٦] غير الكوفي والمدني الأول. اهـ. وهو في مجمع البيان ٣٠/ ٢٠٤.

(٤) سنن الترمذي (٢٨٩٤)، وشعب الإيمان (٢٥١٤)، قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث يمان بن المغيرة. اهـ. ويمان ضعيف كما في التقريب. وقد أخرج هذا الحديث الترمذي (٢٨٩٣)، والبيهقي في الشعب (٢٥١١) عن أنس أيضاً. وفي إسناده الحسن بن سلم بن صالح العجلي، قال البيهقي: مجهول.

(٥) أخرجه الترمذي (٢٨٩٥)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢٥١٥) عن أنس رضي الله عنه، قال =

ووجه ما في الأول بأنَّ أحكام القرآن تنقسم إلى أحكام الدنيا وأحكام الآخرة، وهذه السورة تشتمل على أحكام الآخرة إجمالاً وزادت على «القارعة» بإخراج الأثقال وبحديث الأخبار.

وما في الآخر بأنَّ الإيمانَ بالبعث الذي قرَّرتْه هذه السورةُ ربعُ الإيمان في الحديث الذي رواه الترمذي: «لا يؤمنُ عبدٌ حتى يُؤمنَ بأربعٍ: يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله بعثني بالحقِّ، ويؤمن بالموت، ويؤمن بالبعث بعدَ الموت، ويؤمن بالقدر»[1]. وسيأتي إن شاء الله تعالى ما يتعلَّق بهذا المقام.

وكأنه لَمَّا ذكر عز وجل في السورة السابقة جزاءَ الفريقَين المؤمنين والكافرين كان ذلك كالمحرِّك للسؤال عن وقته، فبيَّنه جلَّ شأنه في هذه السورة فقال عزَّ من قائل:

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ﴾ أي: حُرِّكت تحريكاً عنيفاً متدارِكاً متكرِّراً ﴿زِلۡزَالَهَا﴾ أي: الزلزالَ المخصوصَ بها الذي تقتضيه بحسب المشيئة الإلهية المبنية على الحِكَم البالغة، وهو الزلزالُ الشديد الذي ليس بعده زلزالٌ، فكأنَّ ما سواه ليس زلزالاً بالنسبة إليه. أو: زلزالَها العجيبَ الذي لا يقادَر قدرُه. فالإضافة على الوجهين للعهد.

ويجوز أن يراد الاستغراقُ؛ لأنَّ زلزالاً مصدرٌ مضافٌ فيعمُّ، أي: زلزالَها كلَّه، وهو استغراقٌ عُرفي قُصد به المبالغة، وهو مرادُ مَن قال[2]: أي: زلزالَها الداخلَ في حيِّز الإمكان، أو عنى بذلك العهدَ أيضاً.

= الترمذي: هذا حديث حسن. اهـ. وفيه سلمة بن وردان، قال البيهقي: ليس بقوي في الحديث.

(١) سنن الترمذي (٢١٤٥)، وأخرجه أيضاً أحمد (٧٥٨)، وهو من حديث علي ﷺ.

(٢) هو أبو السعود في تفسيره ٨/ ١٨٨.

وقرأ الجحدريُّ وعيسى: «زَلْزَالَها» بفتح الزاي[١]، وهو عند ابن عطية مصدرٌ كالزِّلزال بالكسر[٢]، وقال الزمخشري: المكسورُ مصدرٌ، والمفتوحُ اسمٌ للحركة المعروفة، وانتصب هاهنا على المصدر تجوُّزاً لسدِّه مسدَّ المصدر. وقال أيضاً: ليس في الأبنية فَعْلَالٌ بالفتح إلا في المضاعف[٣].

وذكروا أنه يجوز في ذلك الفتحُ والكسرُ، إلا أنَّ الأغلب فيه إذا فُتح أن يكون بمعنى اسم الفاعل، كصَلصال بمعنى مُصلصِل، وقَضْقاض بمعنى مُقَضْقِض[٤]، ووَسواس بمعنى مُوَسْوِس. وليس مصدراً عند ابن مالك[٥]. وأما في غير المضاعف فلم يُسمع إلا نادراً سواء كان صفةً أو اسماً جامداً، وبَهْرَام وبَسْطَام معرَّبان إن قيل بصحَّة الفتح فيهما. ومن النادر «خَزْعَال» بمعجمتين، وهو الناقة التي بها ظَلْع، ولم يُثبِت بعضُهم غيرَه. وزاد ثعلب: قَهْقَار[٦]، وهو الحجر الصلب. وقيل: هو جمعٌ. وقيل: هو لغة ضعيفة، والفصيحة: قَهْقَرّ، بتشديد الراء. وزاد آخر: قَسْطالاً[٧]، وهو الغبارُ.

وهذا الزلزال على ما ذهب إليه جمعٌ عند النفخة الثانية؛ لقوله تعالى: ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢﴾، فقد قال ابن عباس: أي: موتاها[٨]. وقال النقاش والزَّجَّاج ومنذر بن سعيد: أي: كنوزَها وموتاها[٩]. ورُوي عن ابن عباس أيضاً.

(١) القراءات الشاذة ص١٧٧، والبحر ٨/ ٥٠٠.
(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٥١٠.
(٣) الكلام في الكشاف ٤/ ٢٧٥ باختصار.
(٤) القضقاض: الأسد يُقَضْقِضُ فريستَه. والقَضْقَضَةُ: صوت كسر العظام. الصحاح (قضض).
(٥) نقله المصنف عنه بواسطة الشهاب في الحاشية ٨/ ٣٨٨، وكلام ابن مالك في «التسهيل» ظاهر في إجازة المصدر، حيث قال ص٢٠٦: ومصدر فَعْلَلَ والملحق به بزيادة هاء التأنيث في آخره، أو بكسر أوله وزيادة ألفٍ قبل آخره. وفَتحُ أول هذا إن كان كالزلزال جائزٌ، والغالب أن يراد به حينئذٍ اسم الفاعل. اهـ. وينظر أوجز المسالك ص٤٣٩.
(٦) تحرف في (م) إلى: قهقاز.
(٧) وزاد في القاموس (خزعل): خرطال. وينظر تاج العروس (خزعل) فثمَّة ألفاظ أخر.
(٨) أخرجه الطبري ٢٤/ ٥٥٩.
(٩) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٣٥١، والمحرر الوجيز ٥/ ٥١٠.

وهذه الكنوزُ على هذا القول غيرُ الكنوز التي تخرج أيامَ الدجال على ما وردت به الأخبار، وذلك بأن تُخرِج بعضاً في أيامه وبعضاً عند النفخة الثانية، ولا بُعدَ في أن تكون بَعد الدجال كنوزٌ أيضاً فتُخرجها مع ما كان قد بقي يومئذٍ.

وقيل: هو عند النفخة الأولى، و«أَثْقَالَها»: ما في جوفها من الكنوز، أو منها ومن الأموات، ويعتبر الوقتُ ممتدًّا.

وقيل: يحتمل أن يكون إخراجُ الموتى كالكنوز عند النفخة الأولى، وإحياؤها في النفخة الثانية، وتكون على وجه الأرض بين النفختين. وأنت تعلم أنه خلافُ ما تدلُّ عليه النصوصُ.

وقيل: إنها تُزلْزَلُ عند النفخة الأولى فتُخرِج كنوزها، وتُزَلزل عند الثانية فتُخرِج موتاها. وأريد هنا بوقت الزلزال ما يعمُّ الوقتين.

واقتصر بعضهم على تفسير الأثقال بالكنوز مع كون المراد بالوقت وقتَ النفخة الثانية، وقال: تُخرج الأرض كنوزَها يومَ القيامة ليراها أهلُ الموقف، فيتحسَّر العصاةُ إذا نظروا إليها حيث عصوا الله تعالى فيها ثم تركوها لا تُغني عنهم شيئاً. وفي الحديث: «تُلقي الأرضُ أفلاذَ كَبِدِها أمثالَ الأسطوانات من الذهب والفضة، فيجيء القاتلُ فيقول: مِن هذا قَتَلتُ. ويجيء القاطعُ فيقول: في هذا قَطَعتُ رحمي. ويجيء السارق فيقول: في هذا قُطِعت يَدِي. ثم يَدَعُونه فلا يأخذون منه شيئاً»[1].

وقيل: إنَّ ذلك لتُكوى بها جباهُ الذين كَنَزوا وجنوبُهم وظهورُهم.

وأيًّاما كان فالأثقال جمعُ ثَقَلٍ بالتحريك، وهو على ما في «القاموس»: متاعُ المسافر، وكلُّ نفيسٍ مَصُون[2]. وتُجوِّز به هاهنا على سبيل الاستعارة عن الثاني.

---

(١) أخرجه مسلم (١٠١٣)، والترمذي (٢٢٠٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه. وعندهما: «تقيءُ»، بدل: تُلْقي، ومعناهما واحد. و«الأُسطوان»، بدل: الأسطوانات، وكلاهما جمع أسطوانةٍ، وهي السارية والعمود. ينظر الديباج على مسلم للسيوطي ٣/ ٨٥، ومعجم متن اللغة (سطن).

(٢) القاموس (ثقل).

ويجوز أن يكون جمعَ ثِقْل بكسر فسكون، بمعنى حَمْل البطن، على التشبيه والاستعارة أيضاً كما قال الشريف المرتضى في «الدرر»، وأشار إلى أنه لا يُطلَق على ما ذُكر إلا بطريق الاستعارة[١].

ومنهم مَن فسَّر الأثقال هاهنا بالأسرار، وهو مع مخالفته للمأثور بعيدٌ.

وإظهار «الأرض» في موقع الإضمار لزيادة التقرير. وقيل: للإيماء إلى تبديل الأرض غيرَ الأرض. أو لأنَّ إخراج الأثقال حالُ بعض أجزائها.

والظاهر أنَّ إخراجها ذلك مسبَّب عن الزلزال كما يُنفَض البساط ليخرُج ما فيه من الغبار ونحوه، وإنما اختيرت الواوُ على الفاء تفويضاً لذهن السامع. كذا قيل، ولعلَّ الظاهر أنَّه لم تُرَد السببيةُ والمسبَّبية، بل ذُكر كلٌّ مما ذكر من الحوادث من غير تعرُّضٍ لتسبُّبِ شيء منها على الآخر.

﴿وَقَالَ ٱلْإِنسَـٰنُ﴾ أي: كلُّ فردٍ من أفراد الإنسان لِمَا يَبهَرهم من الطامَّة التامَّة، ويَدْهَمهم من الداهية العامَّة: ﴿مَا لَهَا﴾ تَزلزلت هذه المرتبةَ من الزلزال، وأخرجت ما فيها من الأثقال؟! استعظاماً لِمَا شاهدوه من الأمر الهائل وقد سُيِّرت الجبالُ في الجوِّ وصُيِّرت هباءً.

وذهب غير واحد إلى أنَّ المراد بالإنسان الكافرُ غير المؤمن بالبعث، والأظهر هو الأول على أنَّ المؤمن يقول ذلك بطريق الاستعظام والكافر بطريق التعجُّب.

﴿يَوْمَئِذٍ﴾ بدلٌ من «إذا»، وقوله تعالى: ﴿تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ - أي: الأرضُ، واحتمالُ كون الفاعل المخاطَبَ كما زعم الطبرسيُّ[٢] لا وجهَ له - عاملٌ فيهما.

وقيل: العاملُ مضمَر يدلُّ عليه مضمونُ الجمل بعدُ، والتقديرُ: يُحشَرون إذا زلزلت، و«يومئذ» متعلِّقٌ بـ «تُحدِّث»، و«إذا» عليه لمجرَّد الظرفية.

---

(١) أمالي الشريف المرتضى المسماة غرر الفوائد ودرر القلائد ١/ ٩٥.
(٢) في مجمع البيان ٣٠/ ٢٠٧.

وقيل: هي نصبٌ على المفعولية لـ : اذْكُرْ، محذوفاً، أي: اذْكُر ذلك الوقتَ، فليست ظرفيةً ولا شرطيةً.

وجوِّز أن تكون شرطيةً منصوبةً[1] بجوابٍ مقدَّر، أي: يكون ما لا يُدرَك كُنْهه. أو نحوه.

والمراد: يومَ إذ[2] زُلزلت زلزالَها، وأخرجت أثقالَها، وقال الإنسان: ما لها؟ تُحدِّث الخلقَ ما عندها من الأخبار، وذلك بأنَّ يَخلُق الله تعالى فيها حياةً وإدْراكاً وتتكلَّم حقيقةً فتشهد بما عُمِل عليها من طاعة أو معصية. وهو قول ابن مسعود والثوريِّ وغيرهما، ويشهد له الحديثُ الحسنُ الصحيحُ الغريب؛ أخرج الإمام أحمد والترمذيُّ عن أبي هريرة قال: قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية: (يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا) ثم قال: «أتدرون ما أخبارُها»؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «فإنَّ أخبارَها أن تشهد على كلِّ عبد وأَمَة بما عَمِل على ظهرها، تقول: عَمِل يومَ كذا كذا، فهذه أخبارُها»[3].

والباء في قوله تعالى: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥﴾ للسببيَّة، أي: تُحدِّث بسببِ إيحاء ربِّك لها وأمرِه سبحانه إياها بالتحديث، واللام بمعنى «إلى»، أي: أوحى إليها؛ لأنَّ المعروف تَعدِّي الوحْي بها كقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾ [النحل: ٦٨] لكن قد يتعدَّى باللام كما في قول العجاج يصف الأرض:

أوحى لها القَرارَ فاستَقرَّتِ   وشدَّها بالراسياتِ الثُّبَّتِ[4]

ولعلَّ اختيارَها لمراعاةِ الفواصل.

---

(١) في الأصل و(م): منصوب. والمثبت من حاشية الشهاب ٨/ ٣٨٨، والكلام منه.

(٢) في الأصل و(م): إذا، والمثبت من البحر ٨/ ٥٠٠، والدر المصون ١١/ ٧٤، وتفسير أبي السعود ٩/ ١٨٨.

(٣) مسند أحمد (٨٨٦٧)، وسنن الترمذي (٢٤٢٩) و(٣٣٥٣). قال الترمذي: هذا حديث حسنٌ غريب صحيح. اهـ. وفيه يحيى بن أبي سليمان، قال الحافظ في التقريب: لين الحديث.

(٤) ديوان العجاج ص٢٦١، وهو في مجاز القرآن ٢/ ٣٠٦، والنكت والعيون ٦/ ٣٢٠، والبحر ٨/ ٥٠١.

وجوّز أن تكون اللام للتعليل أو المنفعة؛ لأنَّ الأرض بتحديثها بعمل العُصاة يحصل لها تشفٍّ منهم بفضحها إياهم بذكر قبائحهم، والموحَى إليه هي أيضاً.

والوحي يحتمل أن يكون وحْيَ إلهام، وأن يكون وحْيَ إرسالٍ، بأن يُرسِل سبحانه إليها رسولاً من الملائكة بذلك. وقال الطبري وقوم: التحديثُ استعارةٌ أو مجازٌ مرسَلٌ لمطلق دلالة حالها، والإيحاءُ إحداثُ ما تدلُّ به، فيُحدِث عزَّ وجلَّ فيها من الأحوال ما يكون به دلالةٌ تقوم مقامَ التحديث باللسان، حتى ينظر مَن يقول: ما لها، إلى تلك الأحوال فيَعلم لِمَ زُلزِلت ولم لَفَظت الأمواتَ، وأنَّ هذا ما كانت الأنبياء عليهم السلام يُنذِرونه ويُحذِّرون منه. وما يُعلم هو أخبارُها(١).

وقيل: الإيحاء ـ على تقدير كون التحديث حقيقيًّا أيضاً ـ مجازٌ عن إحداث حالةٍ يُنطِقها سبحانه بها كإيجاد الحياة وقوّةِ التكلُّم، والأخبارُ على ما سمعتَ آنفاً.

وقال يحيى بن سلام: تُحدِّث بما أخرجت من أثقالها(٢). ويشهد له ما في حديث ابن ماجه في سننه: «تقول الأرض يومَ القيامة يا ربِّ، هذا ما استودعتَني»(٣).

وعن ابن مسعود: تحدِّث بقيام الساعة إذا قال الإنسان: ما لها، فتُخبر أنَّ أمرَ الدنيا قد انقضى، وأمر الآخرة قد أتى. فيكون ذلك جواباً لهم عند سؤالهم(٤).

وقال الزمخشري: يجوز أن يكون المعنى: تُحدِّث بتحديث أنَّ ربك أوحى لها أخبارَها، على أنَّ تحديثَها بأنَّ ربك أوحى لها تحديثٌ بأخبارها، كما تقول: نصحتَني كلَّ نصيحة بأن نصحتَني في الدين(٥). فأخبارُها عليه هو أنَّ ربَّك أوحى لها. والباءُ تجريديةٌ، مثلها في قولك: لئن لَقِيتَ فلاناً لتَلقَيَنَّ به رجلاً متناهياً في

---

(١) ينظر تفسير الطبري ٢٤/ ٥٦٠، والكشاف ٤/ ٢٧٦، والبحر ٨/ ٥٠١.

(٢) البحر ٨/ ٥٠١.

(٣) سنن ابن ماجه (٤٢٦٣) وهو من حديث ابن مسعود ﷺ. قال البوصيري في مصباح الزجاجة ٢/ ٣٤٩: إسناده صحيح ورجاله ثقات.

(٤) النكت والعيون ٦/ ٣١٩.

(٥) الكشاف ٤/ ٢٧٦.

الخير. وكان الظاهرُ: تُحدِّث بخبرها، بالإفراد، وكذا على ما قبله من الوجهين، لكن جُمع للمبالغة كما يُشير إليه المثالُ، ونحوُه قولُ الشاعر:

فأنالَني كلَّ المُنَى بزيارةٍ ... كانت مخالسةً كخِطفة طائرِ
فلو استطعتُ [إذاً] خَلَعْتُ على الدُّجى ... لتطولَ ليلتُنا سوادَ الناظرِ[1]

ولا يخفى بعدُه. وبالغ أبو حيان في الحطِّ عليه فقال: هو عفش ينزَّه القرآن عنه[2]. وأراد بالعفش ـ بعين مهملة وفاء وشين معجمة ـ: ما يدنِّس المنزلَ من الكناسة، وهي كلمة تستعملها في ذلك عوامُّ أهل المغرب، وليس كما قال.

وجوِّز أيضاً أن يكون (بِأَنَّ رَبَّكَ) إلخ بدلاً من (أَخْبَارَهَا)، كأنه قيل: يومئذٍ تحدِّث بأنَّ ربك أوحى لها؛ لأنك تقول: حدَّثته كذا، وحدَّثته بكذا. فيصحُّ إبدال «بأنَّ» إلخ من «أخبارَها» وأنَّ أحدَهما مجرورٌ والآخرَ منصوبٌ؛ لأنه يحلُّ محلَّه في بعض الاستعمالات، وليس ذلك في الامتناع ـ خلافاً لأبي حيان[3] ـ ك: استغفرتُ الذنبَ العظيمِ، بنصب الذنب وجرِّ العظيم على أنَّه نعتٌ له باعتبار قولهم: استغفرتُ من الذنبِ = لأنَّ البدلَ هو المقصود فهو في قوة عاملٍ آخر، بخلاف النعت. نعم هو أيضاً خلافُ الظاهر.

وبعد كلِّ ذلك اللائقُ أن لا يُعدل عن المأثور، لاسيَّما إذا صحَّ عن رسول الله ﷺ.

بقي هاهنا بحثٌ وهو أنهم اختلفوا في نحو: حدَّثت، هل هو متعدٍّ إلى مفعولٍ واحد أو إلى أكثر، فذهب الزمخشريُّ[4] وغيرُه ـ ونُقل عن سيبويه[5] ـ إلى الثاني، وهو عندهم ملحقٌ بأفعال القلوب، فينصب مفعولين ك: حدَّثتُ زيداً الخبرَ. أو ثلاثةً ك: حدَّثتُه عَمْراً قائماً. فـ «أخبارها» عليه هو المفعولُ الثاني، والمفعول

(١) البيتان في فيض القدير ٢/ ٤٦٣ دون نسبة، وما بين حاصرتين منه.
(٢) البحر ٨/ ٥٠١.
(٣) حيث منع ذلك في البحر ٨/ ٥٠١.
(٤) في الكشاف ٤/ ٢٧٦، وهو قول ابن مالك كما في أوضح المسالك ص٢٢٧.
(٥) كما في حاشية الشهاب ٨/ ٣٨٩.

الأول محذوفٌ كما أشرنا إليه، ولم يُذكر لأنه لا يتعلَّق بذكره غرضٌ إذ الغرض تهويلُ اليوم وأنه مما ينطِق فيه الجمادُ، بقطع النظر عن المحدَّث كائناً مَن كان.

وقال الشيخ ابن الحاجب: إنما هو متعدٍّ لواحد، وما جاء بعده لتعيين المفعول المطلق، فـ «عَمْراً قائماً» في نحو: حدَّثتُ زيداً عَمْراً قائماً، منصوبٌ لوقوعه موقع المصدر، لا لكونه مفعولاً ثانياً وثالثاً، ولا يقال: كيف يصحُّ أن يقع ما ليس بفعلٍ في المعنى ـ أعني: عمراً قائماً ـ مصدراً؟ لأنه لم يكن مصدراً باعتبار كونه عمراً قائماً، ولكن باعتبار كونه حديثاً مخصوصاً، فالوجه الذي صحَّح الإخبارَ به عن الحديث إذا قلتَ: حديثُ زيدٍ عمرٌو قائمٌ، هو الذي صحَّح وقوعَه مصدراً، فـ «أخبارها» عليه في موقع المفعول المطلق[1]، والمفعولُ به محذوفٌ؛ لِمَا تقدَّم، بل قال بعضهم: إنك إذا قلتَ: حدَّثتُه حديثاً، أو: خبراً، فلا نزاعَ في أنه مفعولٌ مطلقٌ. والظاهر أنَّ الأخبارَ في زعمه كذلك.

وتعقَّب ذلك في «الكشف» بأنَّ ما ذكره الشيخُ غير مسلَّم، فإنَّه لم يفرِّق بين التحديث والحديث، والأول هو المفعول المطلق، كيف وهو يُجرُّ بالباء فتقول: حدَّثتُه الخبرَ، و: بالخبر؟ ومعلومٌ أنَّ ما دخل عليه الباءُ لا يجوز أن يكون مفعولاً مطلقاً.

وقد يقال: كونُ الشيخ لم يفرِّق في حيِّز المنع، وكيف يخفى مثلُ ذلك على مثله؟ لكنَّه قائلٌ بأنَّ أثر المصدر ومتعلِّقه قد سدَّ مسدَّه فيما ذُكر، كما سدَّ مسدَّه آلتُه في نحو: ضربته سَوْطاً، ولعلَّ ما قرَّره في غير ما دخلته الباء.

وقال الطيبي: يمكن أن يقال: إنَّ حَدَّثَ وأخواتها متعدِّياتٌ إلى مفعولٍ واحد حقيقةً، وجَعْلُها متعدِّياتٍ إلى ثلاثة أو إلى اثنين تجوُّزٌ أو تضمينٌ لمعنى الإعلام. واستأنَسَ له بكلامٍ نقلَه عن «المفصَّل»[2]، وكلامٍ نقله عن صاحب «الإقليد». فتأمَّل.

---

(١) لفظة: المطلق، سقطت من (م).

(٢) ينظر شرح المفصل لابن يعيش ٧/ ٦٥-٦٦.

وقرأ ابن مسعود: «تُنَبِّئُ أَخْبَارَها»[1]، وسعيد بن جبير: «تُنْبِئُ» بالتخفيف[2].

﴿يَوْمَبِذٍ﴾ أي: يومَ إذ يقع ما ذُكر، وهو ظرفٌ لقوله تعالى: ﴿يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ﴾ يَخرُجون من قبورهم بعد أن دُفنوا فيها إلى موقف الحساب ﴿أَشْتَاتًا﴾ متفرِّقين بحسب طبقاتهم: بيض الوجوه آمنين وسود الوجوه فَزِعين، ورَاكبين وماشين، ومقيَّدين بالسلاسل وغير مقيَّدين.

وعن بعض السلف: مفترقين[3] إلى سعيد وأسعد، وشقيٍّ وأشقى. وقيل: إلى مؤمنٍ وكافرٍ.

وعن ابن عباس: أهلُ الإيمان على حدة، وأهل كلِّ دين على حدة.

وجوِّز أن يكون المرادُ: كلَّ واحدٍ وحدَه لا ناصرَ له ولا عاضدَ؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَدَىٰ﴾ [الأنعام: ٩٤].

وقيل: متفرقين بحسب الأقطار.

﴿لِّيُرَوْاْ أَعْمَـٰلَهُمْ﴾ أي: ليُبصِروا جزاءَ أعمالهم خيراً أو شرًّا، فالرؤية بصريةٌ، والكلام على حذف مضاف، أو على أنَّه تجوُّزٌ بالأعمال عما يتسبَّب عنها من الجزاء. وقدَّر بعضُهم: كُتُبَ، أو: صَحَائفَ.

وقال آخر: لا حاجةَ إلى التأويل والأعمالُ تجسَّم نورانية وظلمانية بل يجوز رؤيتها مع عرضيَّتها. وهو كما ترى.

وقيل: المراد: ليعرفوا أعمالَهم ويُوقَفوا عليها تفصيلاً عند الحساب. فلا يحتاج إلى ما ذكر أيضاً.

وقال النقاش: الصدورُ مقابل الورود، فيَرِدُون المحشرَ ويَصدُرون منه متفرِّقين، فقومٌ إلى الجنة وقومٌ إلى النار؛ ليُرَوا جزاءَ أعمالهم من الجنة والنار. وليس بذاك.

---

(١) معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٨٤، والكشاف ٤/ ٢٧٦.
(٢) تفسير الطبري ٢٤/ ٥٦٠، والقراءات الشاذة ص١٧٧.
(٣) في (م): متفرقين.

وأيًّاما كان فقولُه تعالى: (لِّيُرَوْاْ) متعلِّق بـ «يَصْدُر». وقيل: هو متعلِّق بـ «أوحى لها» وما بينهما اعتراضٌ.

وقرأ الحسن والأعرج وقتادة وحماد بن سلمة والزهريُّ وأبو حيوة وعيسى ونافع في رواية: «لِيَروا» بفتح الياء[1].

وقوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ تفصيلٌ لـ «يُروا». والذرَّة: نملةٌ صغيرةٌ حمراء رقيقة. ويقال: إنها تجري إذا مضى لها حولٌ. وهي عَلَمٌ في القلَّة؛ قال امرؤ القيس:

من القاصراتِ الطَّرْفِ لو دبَّ مُحْوِلٌ ... من الذرِّ فوقَ الإِتْبِ منها لأثَّرا[2]

وقيل: الذرُّ: ما يُرى في شعاع الشمس من الهباء.

وأخرج هناد عن ابن عباس أنه أدخل يدَه في التراب ثم رفعها، ثم نفخ فيها وقال: كلُّ واحدةٍ من هؤلاء مثقالُ ذرَّةٍ[3].

وانتصابُ «خيراً» و«شرًّا» على التمييز، لأنَّ «مثقالَ ذرَّةٍ» مقدارٌ. وقيل: على البدلية من «مثقال».

والظاهر أنَّ «مَن» في الموضعين عامَّة للمؤمن والكافر، وأنَّ المرادَ من رؤيةِ ما يُعادِل مثقالَ ذرةٍ من خيرٍ أو شرٍّ مشاهدةُ جزائه بأن يحصل له ذلك.

واستشكل بأنَّ ذلك يقتضي إثابة الكافر بحسناته وما يفعله من الخير، مع أنهم

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٥١١، والبحر ٨/ ٥٠١-٥٠٢، والمشهور عن نافع بضم الياء كقراءة الجماعة.

(٢) ديوان امرئ القيس ص٦٨. وقد سلف البيت ٢٣/ ٨٩ برواية: الأنف، بدلَ: الإتب. وجاء في هامش الأصل: الإِتب بالكسر: بُرْدٌ يشَقُّ فتلبسه المرأة من غير جيب ولا كمَّين، ودرعُ المرأة، وما قصر من الثياب فنَصَفَ الساقَ، أو سراويل بلا رجلين، أو قميص بلا كمين. اهـ. وهو منقول من القاموس (أتب). والمُحْوِل: الذي أتى عليه الحول. القاموس (حول).

(٣) الزهد لهناد بن السري (١٩٣).

قالوا: أعمالُ الكَفَرَة مُحبَطة. وادَّعى في «شرح المقاصد» الإجماعَ على ذلك[1]، كيف وقد قال سبحانه: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣] وقال عز وجل: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَـٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٦] وقال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَـٰلُهُمْ كَرَمَادٍ﴾ الآية [إبراهيم: ١٨]؟ وكونُ خيرهم الذي يرونه تخفيفَ العذاب يدفعه قولُه تعالى: ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ [البقرة: ٨٦] وقولُه سبحانه: ﴿زِدْنَـٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ﴾ [النحل: ٨٨] ويقتضي أيضاً عقابَ المؤمن بصغائره إذا اجتنب الكبائرَ، مع أنهم قالوا إنها مكفَّرةٌ حينئذٍ؛ لقوله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ [النساء: ٣١] وقول ابن المنير[2]: إنَّ الاجتنابَ لا يوجب التكفيرَ عند الجماعة، بل التوبةُ أو مشيئةُ الله تعالى = ليس بشيء؛ لأنَّ التوبة والاجتنابَ سواءٌ في حكم النصِّ، ومشيئةُ الله تعالى هي السببُ الأصيل.

فالتزم بعضُهم كونَ المراد بـ «مَن» الأولى السعداءُ، وبـ «من» الثانية الأشقياءُ، بناءً على أنَّ (فَمَن يَعْمَلْ) إلخ تفصيلٌ لـ (يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا) وكان مفسَّراً بما حاصله: فريق في الجنة وفريق في السعير، فالمناسب أن يرجع كل فقرةٍ إلى فرقة ليطابق المفصَّلُ المجملَ، ولأنَّ ظاهرَ قولِهِ سبحانه: (فَمَن يَعْمَلْ) (وَمَن يَعْمَلْ) بتكرير أداة الشرط يقتضي التغايُرَ بين العامِلين.

وقال آخرون بالعموم، إلا أنَّ منهم مَن قال: في الكلام قيدٌ مقدَّر تُرك لظهوره والعلم به من آياتٍ أُخَر، فالتقدير: فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره إن لم يُحبَط، ومن يعمَلْ مثقالَ ذرة شرًّا يره إن لم يكفَّر. ومنهم مَن جعلَ الرؤية أعمَّ مما تكون في الدنيا وما تكون في الآخرة، فالكافر يرى جزاءَ خيرِه في الدنيا وجزاءَ شرِّه في الآخرة، والمؤمن يرى جزاءَ شرِّه في الدنيا وجزاء خيره في الآخرة، فقد روى البغويُّ وابن جرير وابن المنذر وغيرُهم عن محمد بن كعب القرظي أنه قال: فمن

---

(١) ينظر شرح المقاصد ٥/١٤٣.
(٢) في الانتصاف ٤/٢٧٧.

يعمل مثقالَ ذرَّة من خيرٍ وهو كافرٌ فإنه يرى ثوابَ ذلك في الدنيا في نفسه وأهله وماله، حتى يبلغَ الآخرة وليس له فيها خير، ومَن يعمل مثقال ذرَّةٍ من شرٍّ وهو مؤمن كُوفِئَ ذلك في الدنيا في نفسه وأهله وماله، حتى يبلغ الآخرةَ وليس عليه فيها شرٌّ»(١).

وأخرج الطبراني في «الأوسط» والبيهقي في «الشعب» وابن أبي حاتم وجماعة عن أنس قال: بينما أبو بكر الصديق رضي الله عنه يأكل مع النبيِّ ﷺ إذ نزلت عليه: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ﴾ الآية، فرفع أبو بكر يدَه وقال: يا رسول الله، إني لراءٍ ما عملتُ من مثقال ذرَّةٍ من شرٍّ؟ فقال عليه الصلاة والسلام: «يا أبا بكر، أرأيتَ ما ترى في الدنيا مما تكره فبِمَثاقيل ذَرِّ الشرِّ، ويُدَّخرُ لك مثاقيلُ ذرِّ الخير حتى تُوفَّاه يومَ القيامة»(٢).

وفي رواية ابن مردويه عن أبي أيوب أنَّه ﷺ قال له إذ رفع يَده: «مَن عَمِل منكم خيراً فجزاؤه في الآخرة، ومَن عَمِل منكم شرًّا يره في الدنيا مصيباتٍ وأمراضاً، ومَن يكن فيه مثقالُ ذرة من خيرٍ دَخَل الجنة»(٣).

ومنهم من قال: المراد مِن رؤيةِ ما يُعادِل ذلك من الخير والشرِّ مشاهدةُ نفسه من غيرِ أن يُعتبر معه الجزاءُ ولا عدمُه، بل يُفوَّض كلٌّ منهما إلى سائر الدلائل الناطقة بعفوِ صغائر المؤمن المجتنِب عن الكبائر وإثابته بجميع حسناته، وبحبوط

---

(١) تفسير البغوي ٤/ ٥١٦، وتفسير الطبري ٢٤/ ٥٦٤، وعزاه لابن المنذر السيوطي في الدر ٦/ ٣٨١، وهو في تفسير عبد الرزاق ٣/ ٣٨٨.

(٢) المعجم الأوسط (٨٤٠٢)، وشعب الإيمان (٩٨٠٩)، وعزاه لابن أبي حاتم وابن جرير وابن المنذر وغيرهم السيوطي في الدر ٦/ ١٨٠، وهو في تفسير الطبري ٢٤/ ٥٦٤-٥٦٥، وأخرجه الحاكم في المستدرك ٢/ ٥٣٢-٥٣٣ وصححه، وهو مرسل كما قال الذهبي في التلخيص.

(٣) عزاه لابن مردويه السيوطي في الدر ٦/ ٣٨١، وفيه أن الذي أمسك يده عن الطعام هو رسول الله ﷺ، ليس أبا بكر. وجاء في هامش الأصل: وفي رواية لابن مردويه عن أبي إدريس الخولاني أنه عليه الصلاة والسلام قال: «وتصديق ذلك في كتاب الله تعالى ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾ [الشورى: ٣٠]. اهـ. وهو في الدر المنثور ٦/ ٣٨١.

حسنات الكافر ومعاقبته بجميع معاصيه. وبه يُشعر ما أخرج ابن جرير وابن المنذر والبيهقي في «البعث» عن ابن عباس من قوله في الآية: ليس مؤمنٌ ولا كافرٌ عَمِل خيراً وشرًّا في الدنيا إلا أراه الله تعالى إياه، فأمَّا المؤمن فيرى حسناتِه وسيئاتِه، فيَغفِر له من سيئاته ويُثيبه بحسناته، وأما الكافر فيُرِيه حسناتِه وسيئاتِه فيردُّ حسناتِه ويعذِّبه بسيئاتِه(١).

واختار هذا الطيبيُّ فقال: إنه يُساعده النظمُ والمعنى والأسلوب:

أمَّا النظم: فإنَّ قوله تعالى: (فَمَن يَعْمَلْ) إلخ تفصيلٌ لِمَا عقِّب به من قوله سبحانه: (يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَٰلَهُمْ)، فيجب التوافق، والأعمالُ جمعٌ مضافٌ يُفيد الشمولَ والاستغراقَ، و(يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ) مقيَّدٌ بقوله عز وجل: (أَشْتَاتًا) فيُفيد أنهم على طرائقَ شتَّى للنزول في منازلهم من الجنة والنار بحسب أعمالهم المختلفة، ومن ثَمَّ كانت الجنة ذاتَ درجات والنارُ ذاتَ دَرَكات.

وأمَّا المعنى: فإنها وردت لبيان الاستقصاء في عرض الأعمال والجزاء عليها كقوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

وأما الأسلوب: فإنها من الجوامع الحاوية لفوائد الدين أصلاً وفرعاً؛ روينا عن البخاري ومسلم عن أبي هريرة: سُئِل رسول الله ﷺ عن الحُمُر - أي: عن صدقتها - قال: «لم ينزل عليَّ فيها شيءٌ إلا هذه الآية الجامعة الفاذَّة» - أي: المتفرِّدة في معناها - فتلاها عليه الصلاة والسلام(٢).

وروى الإمام أحمد(٣) عن صعصعة بن معاوية عمِّ الفرزدق أنه أتى النبيَّ ﷺ،

---

(١) تفسير الطبري ٢٤/ ٥٦٣، والبعث والنشور (٥٩)، وعزاه لابن المنذر السيوطي في الدر ٦/ ٣٨١.

(٢) صحيح البخاري (٢٣٧١)، وصحيح مسلم (٩٨٧)، وقد رواه أيضاً مالك ٢/ ٤٤٤، وأحمد (٧٥٦٣)، والنسائي ٦/ ٢١٦-٢١٧.

(٣) جاء في هامش الأصل: ورواه أيضاً النسائي والطبراني وابن المبارك في الزهد وغيرهم. اهـ منه.

فقرأ عليه الآيةَ، فقال: حسبي، لا أبالي أن لا أسمعَ من القرآن غيرَها[١]. انتهى.

وأقول: الظاهر عمومُ «مَن» وكونُ المراد رؤيةَ الجزاء كما تقدَّم، وكذا الظاهرُ كونُ ذلك في الآخرة ولا إشكال، وذلك لأنَّ الفقرة الأولى وعدٌ، والثانية وعيدٌ، ومذهبنا أن الوعد لازمُ الوقوع تفضُّلاً وكرماً، والوعيد ليس كذلك، فيفوَّضُ أمر الشرِّ في الثانية على الدلائل، وهي ناطقةٌ بأنه إن كان كفراً لا يُغفر، وإن كان صغيرةً مِن مؤمنٍ مجتنِبِ الكبائر يكفَّر، وإن كان كبيرةً من مؤمنٍ أو صغيرةً منه وهو غيرُ مجتنبِ الكبائر فَتَحْتَ المشيئةِ، وخبرَا أنسٍ وأبي أيوب السابقان لا يأبيان ذلك بعد التأمُّل، ولا يبعُد فيما أرى أن يكون ما عدا الكُفْرَ من الكافر كذلك.

وأما أمرُ الخير فباقٍ على ما يقتضيه الظاهر وهو بالنسبة إلى المؤمن ظاهر، وأما بالنسبة إلى الكافر فتخفيفُ العذاب؛ للأحاديث الصحيحة؛ فقد ورد أنَّ حاتماً يخفِّف الله تعالى عنه لكرمه[٢]، وأنَّ أبا لهب كذلك لسروره بولادة النبيِّ ﷺ وإعتاقِه لجاريته ثُوَيبةَ حين بشَّرته بذلك[٣]، والحديثُ في تخفيف عذاب أبي طالب

(١) مسند أحمد (٢٠٥٩٣)، وسنن النسائي الكبرى (١١٦٣٠)، والمعجم الكبير (٧٤١١)، والزهد لابن المبارك (٨٠)، والمستدرك ٣/ ٦١٣. وجاء عند ابن المبارك: عم الفرزدق أو جدُّه. وعند الطبراني والحاكم: عم الأحنف بن قيس، وهو ما صوَّبه ابن الأثير في أُسْد الغابة ٣/ ٢١-٢٢، والمزيُّ في تهذيب الكمال ١٣/ ١٧٤-١٧٥، والحافظ في الإصابة ٥/ ١٤١-١٤٢. وذكروا أنه ليس للفرزدق عمٌّ اسمه صعصعة، ولكن جده صعصعة بن ناجية، وهو صحابي.
وجاء في هامش الأصل: وفي رواية لابن المبارك وعبد الرزاق عن الحسن: أنه سمعها لما نزلت رجلٌ من المسلمين فقال: انتهت الموعظة. اهـ منه. وهو في الزهد لابن المبارك (٨٢)، وتفسير عبد الرزاق ٢/ ٣٨٨.

(٢) ذكر أحمد بن غنيم النفراوي في الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني ١/ ٨١ أنه لما أسلم عدي بن حاتم قال له رسول الله ﷺ: «إن الله رفع عن أبيك العذاب الأليم بسبب سخائه». اهـ. ولم نقف عليه في كتب الحديث. وجاء في حديث لابن عباس: «إن الله تعالى يأمر بالكافر السخي إلى جهنم، فيقول لمالك خازن جهنم: عذِّبه، وخفِّف عنه العذابَ على قدر سخائه الذي كان في دار الدنيا». مسند الفردوس (٥٥٤)، وعزاه في كنز العمال (١٦٢١١) لأبي الشيخ في «الثواب».

(٣) أخرج البخاري (٥١٠١) عن عروة قال: وثويبة مولاة أبي لهب، كان أبو لهب أعتقها، =

مشهورٌ[1]، وما يدلُّ على عدم تخفيف العذاب فالعذابُ فيه محمولٌ على عذاب الكفر بحسب مراتبه، فهو الذي لا يخفَّف، والعذابُ الذي دلَّت الأخبارُ على تخفيفه غيرُ ذلك.

ومعنى إحباط أعمال الكفار أنها لا تُنجيهم من العذاب المخلَّد كأعمال غيرهم، وهو معنى كونها سراباً وهباءً، ودعوى الإجماع على إحباطها بالكلية غيرُ تامَّةٍ، كيف وهم مخاطَبون بالتكاليف في المعاملات والجنايات اتفاقاً، والخلافُ إنما هو في خطابهم في غيرها من الفروع، ولا شكَّ أنه لا معنى للخطاب بها إلا عقاب تاركها وثواب فاعلها، وأقلُّه التخفيف، وإلى هذا ذهب العلامة شهاب الدين الخفاجي عليه الرحمة[2]، ثم قال:

وما في «التبصرة»[3] و«شرح المشارق» و«تفسير الثعلبي» من أنَّ أعمالَ الكَفَرَة الحسنة التي لا يشترط فيها الإيمانُ كإنجاء الغريق وإطفاء الحريق وإطعام ابن السبيل يُجزَون عليها في الدنيا ولا تُدَّخر لهم في الآخرة كالمؤمنين بالإجماع؛ للتصريح به في الأحاديث، فإن عَمِل أحدُهم في كفره حسناتٍ ثم أسلم اختلف فيه: هل يُثاب عليها في الآخرة أم لا؟ بناءً على أنَّ اشتراطَ الإيمان في الاعتداد بالأعمال وعدم إحباطها هل هو بمعنى وجود الإيمان عند العمل، أو وجودِه ولو بعدُ؛ لقوله ﷺ في الحديث: «أسلمتَ على ما سَلَفَ لك من خير»[4] = غير مسلَّم، ودعوى الإجماع فيه غيرُ صحيحة؛ لأنَّ كون وقوع جزائهم في الدنيا دون الآخرة كالمؤمنين مذهبٌ لبعضهم. وذهب آخرون إلى الجزاء بالتخفيف، وقال الكرماني:

= فأرضعت النبيَّ ﷺ، فلما مات أبو لهب أُرِيَه بعضُ أهله بِشَرِّ حِيبَةٍ، قال له: ماذا لقيتَ؟ قال أبو لهب: لم ألقَ بعدكم غير أني سُقيت في هذه بِعَتَاقَتي ثُويبة. اهـ. وزاد في رواية عبد الرزاق (١٣٩٥٥): وأشار إلى النقرة التي تحت إبهامه.

(١) ينظر في ذلك حديث أبي سعيد الخدري عند البخاري (٦٥٦٤)، ومسلم (٢١٠). وحديث ابن عباس عند مسلم (٢١٢).

(٢) في حاشيته على تفسير البيضاوي ٨/ ٣٩٠.

(٣) لعله تبصرة الأدلة في علم الكلام لأبي المعين ميمون بن محمد النسفي المتوفى (٥٠٨هـ). كشف الظنون ١/ ٣٣٧.

(٤) أخرجه البخاري (٢٢٢٠) عن حكيم بن حزام ﷺ.

إنَّ التخفيف واقعٌ لكنه ليس بسبب عملهم، بل لأمرٍ آخر كشفاعة النبيِّ ﷺ ورجائه. ومنه ما يكون لأبي لهب كما قال الزركشيُّ[١]. انتهى.

ولقائل أن يقول: إنَّ الشفاعةَ من آثار عَمَل المشفوعِ الخيرَ أيضاً. فتأمَّل.

وسبب نزول الآية على ما أخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير أنه لَمَّا نزل ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ [الإنسان: ٨] كان المسلمون يرون أنهم لا يُؤجَرون على الشيء القليل إذا أَعْطَوه، فيجيء المسكين إلى أبوابهم فيستقلُّون أن يعطوه التمرة والبسرةَ، فيردُّونه ويقولون: ما هذا بشيء، إنما نُؤجَر على ما نعطي ونحن نحبُّه. وكان آخرون يَرون أنهم لا يلامون على الذنب اليسير: الكذبة والنظرة والغيبة وأشباه ذلك، ويقولون: إنما وعد الله تعالى النارَ على الكبائر. فنزلت الآية تُرغِّبهم في القليل من الخير أن يعملوه، وتحذِّرهم اليسيرَ من الشرِّ أن يعملوه[٢]. وفيها من دلالة الخطاب ما لا يخفى، وقد كان الصحابة ﷺ بعدها يتصدَّقون بما قلَّ وكثر؛ فقد رُوي أنَّ عائشة ﷺ بعث إليها ابنُ الزبير بمئة ألفٍ وثمانينَ ألفَ درهم في غرارتين، فدَعَت بطبقٍ وجعلت تَقسمها بين الناس، فلما أمست قالت لجاريتها: هَلُمِّي. وكانت صائمةً، فجاءت بخبزٍ وزيت، فقالت: ما أمسكتِ لنا درهماً نشتري به لحماً نفطر عليه. فقالت: لو ذكَّرتيني لفعلتُ[٣].

وجاء في عدَّة روايات أنها أعطَت سائلاً يوماً حبَّة من عنبٍ، فقيل لها في ذلك، فقالت: هذه أثقل من ذرٍّ كثيرٍ. ثم قرأت الآية[٤]. ورُوي نحوُ هذا عن عمر وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن مالك ﷺ[٥]، وكان غرضُهم تعليمَ الناس أنَّه

---

(١) حاشية الشهاب ٨/ ٣٩٠، وينظر شرح البخاري للكرماني ٢٥/ ٥٥.
(٢) عزاه لابن أبي حاتم السيوطي في الدر ٦/ ٣٨١.
(٣) أخرجه هناد في الزهد (٦١٩)، وأبو نعيم في الحلية ٢/ ٤٧.
(٤) أخرجه أبو عبيد في الأموال (٩١٠)، وابن سعد في الطبقات الكبرى ٨/ ٤٩٠، والبيهقي في الشعب (٣٤٦٦).
(٥) أخرجه عن عمر ﷺ عبد بن حميد كما في الدر المنثور ٦/ ٣٨٢. وأخرجه عن عبد الرحمن بن عوف ﷺ أبو عبيد في الأموال (٩٠٨)، والبيهقي في الشعب (٣٤٦٧). وأخرجه عن سعد ﷺ أبو عبيد في الأموال (٩٠٩).

لا بأسَ بالتصدُّق بالقليل، ولهم بذلك أسوةٌ برسول الله ﷺ فقد أخرج الزجاجي في أماليه عن أنس بن مالك أنَّ سائلاً أتى النبيَّ ﷺ فأعطاه تمرةً فقال السائلُ: نبيٌّ من الأنبياء يتصدَّق بتمرة؟! فقال عليه الصلاة والسلام: «أما علمتَ فيها مثاقيلُ ذرٍّ كثيرةٍ»[(١)].

وجاء أنه عليه الصلاة والسلام قال: «اتقوا النارَ ولو بشقِّ تمرةٍ» ثم قرأ الآية[(٢)].

وتقديم عمل الخير لأنَّه أشرفُ القسمين، والمقصود بالأصالة لا يخفى حسنُ موقعه، ويُعلم منه أنَّ هذا الإحصاء لا ينافي كرمَه عز وجل المطلق، وما يُحكى من أنَّ أعرابيًّا أخَّر ﴿خَيْرًا يَـرَهُۥ﴾ فقيل له: قدَّمتَ وأخَّرتَ. فقال:

خُـذا بـطـنَ هَـرشـى أو قَـفـاهـا فـإنَّـه كِـلَا جَـانِـبَـيْ هَـرشَـى لـهـنَّ طـريـقُ[(٣)]

فغفلةٌ عن اللطائف القرآنية، أو لعلَّه أراد أنه فيما يتعلَّق بالعمل لا بأسَ به قُدِّم أو أُخِّر، لا أنَّ القراءةَ به جائزة.

وقرأ الحسين بن علي - على جدِّه وعليهما الصلاة والسلام - وابن عباس رضي الله عنهما وعبد الله بن مسلم وزيد بن علي وأبو حيوة والكلبي وخليد بن نشيط وأبان عن عاصم والكسائيُّ في روايةِ حميد بن الربيع عنه: «يُرَه» بضم الياء في الموضعين[(٤)].

---

(١) عزاه للزجاجي السيوطي في الدر ٦/ ٣٨٢-٣٨٣، ولم نقف عليه في أماليه. وقد أخرجه البيهقي في الشعب (٩١٣٥).

(٢) أخرجه البخاري (١٤١٧)، ومسلم (١٠١٦) (٦٧) عن عدي بن حاتم رضي الله عنه، وقد سلف ٤/ ٤٤٨. وليس فيه ذكر قراءة الآية. ورواية المصنف أخرجها ابن مردويه كما في الدر المنثور ٦/ ٣٨٢ من حديث عائشة رضي الله عنها، وفيه: ثم قرأت، بدل: ثم قرأ.

(٣) أخرجه الأصبهاني في الأغاني ١٢/ ٢٦٠-٢٦١ عن عقيل بن عُلَّفة من شعراء الدولة الأموية. وهو في القراءات الشاذة ص١٧٧، والكشاف ٤/ ٢٧٦. وهَرشى: ثنية في طريق مكة قريبة من الجحفة يُرى منها البحر، ولها طريقان فكل من سلك واحداً منهما أفضى به إلى موضع واحد. معجم البلدان (هرش). والشطر الثاني من البيت مَثَلٌ يُضرب للأمرين يستويان من أيِّ مأخذٍ أخذتَهما. قاله الأصمعي كما في جمهرة الأمثال ٢/ ١٤٨.

(٤) القراءات الشاذة ص١٧٧، والمحرر الوجيز ٥/ ٥١٢، والبحر المحيط ٨/ ٥٠٢.

وقرأ هشام وأبو بكر: «يَرَهْ» بسكون الهاء فيهما[١]. وأبو عمرو بضمها مُشبَعةً، وباقي السبعة بالإشباع في الأول والسكون في الثاني[٢]. والإسكانُ في الوصل لغةٌ حكاها الأخفش ولم يَحكها سيبويه، وحكاها الكسائي أيضاً عن بني كلاب وبني عقيل[٣].

وقرأ عكرمة: «يراه» بالألف فيهما[٤]، وذلك على لغةِ مَن يرى الجزمَ بحذف الحركة المقدَّرة على حرف العلة كما حكى الأخفش، أو على ما يقال في غير القرآن من تَوهُّم أنَّ «مَن» موصولةٌ لا شرطيةٌ، كما قيل في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ﴾ [يوسف: ٩٠] في قراءةِ مَن أثبت ياءَ «يَتَّقي» وجَزَمَ (وَيَصْبِرْ)[٥]. وجُوِّز أن تكون الألف للإشباع، والوجه الأول أولى. والله تعالى أعلم.

(١) التيسير ص٢٢٤، والنشر ١/ ٣١١ عن هشام، والكلام من البحر ٨/ ٥٠٢.

(٢) البحر ٨/ ٥٠٢، وفي التيسير ص٢٢٤، والإتحاف ص٥٩٤، والبدور الزاهرة ص٣٤٦ أن قراءة السبعة سوى هشام عن ابن عامر بضم الهاء موصولة بالواو وصلاً، وبإسكانها وقفاً، وقال السمين في الدر المصون ١١/ ٧٧-٧٨: وسكون الثانية لأجل الوقف على آخر السورة غالباً، أما لو وصلوا آخرها بأول «العاديات» كان الحكم الإشباع. هذا مقتضى أصولهم، وهو المنقول.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٥١٢، والبحر ٨/ ٥٠٢.

(٤) البحر ٨/ ٥٠٢.

(٥) هي قراءة قنبل عن ابن كثير كما في التيسير ص١٣١، وهي على توهُّم أن «مَن» شرطية لا موصولة، فجُزِمَ «ويصبرْ» عطفاً على التوهُّم. البحر ٨/ ٥٠٢، وعنه نقل المصنف.

(سورة الزلزلة)

(مُختَلَفٌ فيها مكيّة، وهي ثمان آيات)

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ زِلۡزَالَهَا ۝١ وَأَخۡرَجَتِ ٱلۡأَرۡضُ أَثۡقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝٣﴾

﴿إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ زِلۡزَالَهَا ۝١﴾ أي إذا حرّكت زلزالها الشديد الذي ليس بعده زلزال. وقرىء بفتح الزاء فالمسكور مصدر (والمفتوح اسم) ﴿وَأَخۡرَجَتِ ٱلۡأَرۡضُ أَثۡقَالَهَا ۝٢﴾ (أي كنوزها وموتاها جمع ثقل) وهو متاع البيت، جعل ما في جوفها من الدفائن أثقالًا لها ﴿وَقَالَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝٣﴾ زلزلت هذه الزلزلة الشديدة (ولفظت) ما في بطنها، وذلك عند النفخة الثانية حين تزلزل وتلفظ موتاها أحياء فيقولون ذلك (لما يبهرهم من الأمر الفظيع) كما يقولون: ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ﴾

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: (سورة الزلزلة، مُختَلَفٌ فيها) قيل: وهي مدنيّة، وقيل: (مكية، وهي ثمان آيات) وخمس وثلاثون كلمة ومائة وتسع وأربعون حرفًا. **قوله**: (والمفتوح اسم) بمعنى المصدر. **قوله**: (أي كنوزها) عند النفخة الأولى (وموتاها) عند النفخة الثانية. **قوله**: (جمع ثقل) مثل سبب وأسباب. **قوله**: (ولفظت) من باب ضرب إلى ألقت وقذفت. **قوله**: (لما يبهرهم من الأمر الفظيع) أي لما يبلغهم من الأمر الهائل أشار به إلى أن الاستفهام في قوله: ﴿مَا لَهَا﴾ للتفظيع والتهويل فإن كل

[يس: الآية ٥٢] وقيل: هذا قول الكافر لأنه كان لا يؤمن بالبعث، فأما المؤمن فيقول: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [يس: الآية ٥٢].

﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾﴾

﴿يَوْمَئِذٍ﴾ بدل من «إذا» وناصبها ﴿تُحَدِّثُ﴾ **(أي ﴿تُحَدِّثُ﴾ الخلق)** ﴿أَخْبَارَهَا﴾ فحذف أول المفعولين لأن المقصود ذكر تحديثها الإخبار لا ذكر الخلق. قيل: ينطقها الله وتخبر بما عمل عليها من خير وشرّ. **(وفي الحديث: «تشهد)** على كل واحد بما عمل على ظهرها» ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾﴾ أي تحدث أخبارها بسبب إيحاء ربك لها أي إليها وأمره إياها بالتحديث.

مَن رأى تلك الزلزلة بغتة سواء كان ممن آمن بالبعث أو كفر به يجوز أن يقول هذا القول لما يغلبه من الهول وفرط التحير إلّا أن المؤمن يقول بعدما تدارك الأمر ورجع إليه عقله وفكره ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [يس: الآية ٥٢]، وأما الكافر فإنه يحشر أعمى كما عاش أعمى فيستمر على السكرة والحيرة، وقوله: ﴿مَا لَهَا﴾ [إبراهيم: الآية ٢٦] جملة اسمية معناها التعجّب أي أيّ شيء حدث فيها وعرض لها حتى زلزلت هذه الزلزلة الشديدة فإن التعجب لما كان عبارة عن كيفية انفعالية تعرض للإنسان عند إدراك ما خفي سببه، صح أن يكون السؤال عن السبب طريقًا لإنشاء التعجب وإظهاره وكلمة إذا في قوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ شرطية وجوابها ﴿تُحَدِّثُ﴾ وهو الناصب لها عند الجمهور ويومئذٍ أي يومئذٍ زلزلت بدل من إذا.

قوله: (أي ﴿تُحَدِّثُ﴾ الخلق) أشار إلى أن المفعول الأول لتحدث محذوف وهو الخلق و﴿أَخْبَارَهَا﴾ مفعوله الثاني حذف أولهما لأن المقصود ذكر تحديثها الأخبار لا ذكر الخلق بناء على أن السورة نازلة لبيان هول يوم القيامة فنزل قوله تعالى: ﴿تُحَدِّثُ﴾ في حق تعلّقه بمفعوله الأول منزلة اللازم ولم يقصد إلا إتيان تعلّقه بمفعوله الثاني فإنه لا مدخل لذكر الخلق بيان هوله وإنما يستحق التهويل بذكر ما تحدث به. **قوله: (وفي الحديث: «تشهد...)** الخ. أخرجه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَـٰلَهُمْ ۝٦ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾

﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ﴾ **(يصدرون)** عن مخارجهم من القبور إلى الموقف (﴿أَشْتَاتًا﴾ **بيض**) الوجوه آمنين و(**سود**) الوجوه فزعين، أو يصدرون عن الموقف أشتاتًا يتفرّق بهم طريقا الجنّة والنار ﴿لِّيُرَوْا۟ أَعْمَـٰلَهُمْ﴾ أي جزاء أعمالهم ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ نملة صغيرة ﴿خَيْرًا﴾ تمييز ﴿يَرَهُۥ﴾ أي ير جزاءه ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ قيل: هذا في الكفار والأول في المؤمنين. ويروى أن أعرابيًا أخر خيرًا يره فقيل له: قدمت وأخرت فقال:

(خذا بطن هرشى أو قفاها فإنه) كلا جانبي هرشى لهن طريق

قوله: (يصدرون) في مختار الصحاح الصدَر بفتح الدال الاسم من قولك صدر عن الماء وعن البلاد من باب نصر ودخل وأصدره فصدر أي أرجعه فرجع. اهـ. **قوله:** (﴿أَشْتَاتًا﴾) جمع شتيت أي متفرقين. **قوله: (بِيْض)** جمع أبيض والأصل بضم الباء لكن كسرت لمجانسة الياء. اهـ مصباح. **قوله: (سود)** جمع أسود. **قوله:**

(خُذا بطن هرشى أو قَفاها فإنه) كلا جانبي هَرشى لَهُنَّ طريق

أنشده عند قوله تعالى جلّ شأنه ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧﴾ إلى آخره في ضمن حكاية حكاها عن أعرابي وهو عَقِيل بن عُلَّفة المرّي أنه أخر خيرًا يره وقدم عليه شرًّا يره، فقيل له في ذلك فأنشد البيت وأصل الحكاية على ما في الأغاني أن عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه عاتب رجلًا من قريش أُمُّه أخت عقيل المذكور، فقال له: قبّحك الله أشبهت خالَك في الجَفاء فبلغت عقيلًا وكان من أجلاف العرب فجاء حتى دخل على عمر فقال: أما وجدتَ لابن عمك شيئًا تُعَيّره به إلّا خؤولَتِي بل قبّح الله شركما خالًا، فغَضِب عمر فقال له صخير بن أبي الجهم العدوي وأمّه قرشيّة أيضًا أمين يا أب المؤمنين فقبّح الله شركما خالًا وأنا معكما أيضًا فقال له عمر: إنك لأعرابي جلف جاف لو تقدمتُ إليك لأدينك ولكنه لا أراكَ تقرأ شيئًا من كتاب الله. قال: بلى والله إني لأقرأه، قال: اقرأ فقرأ إذا زلزلت الأرض حتى بلغ آخرها فقدّم ومن يعمل مثقال ذرة شرًّا يره على ومن يعمل

ورُوِيَ أن **(جد الفرزدق)** أتاه عليه السلام ليستقرئه فقرأ عليه هذه الآية فقال: حسبي حسبي، وهي أحكم آية وسُميت الجامعة والله أعلم.

مثقالَ ذرة خيرًا يره، فقال له عمر: ألم أقل لك أنك لا تُحْسِن أن تقرأ القرآن، قال: أولم أقرأ قال إن الله عزّ وجل قدم الخير وأنت قدمتَ الشرّ فأنشد البيت. ورُوِيَ غير هذا الوجه أنه كان بين عمر بن عبد العزيز وبين يعقوب بن سلمة وأخيه عبد الله كلامًا فأغلظ لعمر في الكلام فقال له: اسكُتْ فإنك ابن أعرابية جافية، فقال عقيل لعمر: لعن الله تعالى شرّ الثلاثة مني ومنك ومنه فغضب عمر فقال صخير: آمين فهو والله يا أمير المؤمنين شرُّ الثلاثة، فقال: والله إني لأراك لو سألته آية من كتاب الله ما قرأها، فقال: بلى والله إني لقارىء الآية والآيات فأمره أن يقرأ فقرأ إنا بعثنا نوحًا إلى قومه، فقال له عمر: قد أعلمتك أنك لا تُحْسِنُ ما هكذا قال الله تعالى قال: فكيف قال؟ قال: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا﴾ [نوح: الآية ١]، قال: فما الفرق بين أرسلنا وبعثنا.

هذا أَنْفُ هرشى أو قفاها فإنه ... كِلا جانبي هرشى لهن طريق

فجعل القوم يضحكون من عَجْرَفَتِه[1] وخطاب خُذا لصاحبيه وهرشى ثنية في طريق مكة حرسها الله تعالى من الآفات قريبة من الجحفة يرى منها البحر وهذا مثل في التخيير ولهرشى طريقان من سلك أيهما شاء أصاب وضمير لهن للإبل والمعنى يا صاحبيّ سيرا في بطن هذه الثنية أو قفاها أي أمامها وخلفها فإن كلا جانبيه طريق للإبل كأنه ظنّ أن التقديم والتأخير في هذا المقام لا يضرّ وهو خطأ وغفلة عن اللطائف الفراسة، وأعجب منه إيراد مِثْله في هذا المقام مع قبح الإيهام. اهـ الإسعاف بشرح أبيات القاضي والكشاف. **قوله: (جد الفرزدق)** في الإسعاف الفرزدق أبو فراس همام وقيل: هميم بالتصغير ابن غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقال بن محمد بن مجاشع بن دارم بن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مُرّ التميمي البصري الشاعر المشهور. اهـ باختصار. وفي تقريب التهذيب للعلامة ابن حجر

عقال التميمي المجاشعي عمّ الفرزدق صحابي
البصري الشاعر المشهور. اهـ باختصار. وفي

العسقلاني صعصعة بن ناجية بن عقال التميمي المجاشعي عمّ الفرزدق صحابي له أحاديث. اهـ بحروفه. وفي الإصابة في تمييز الصحابة للعلامة الموصوف

---

(١) العجرفة جفوة في الكلام [illegible]

....

صعصعة بن ناجية جدّ الفرزدق الشاعر له صحبة. روى عنه ابنه عقال والطفيل بن عمرو والحسن واختلف عليه فقيل عنه عن صعصعة عم الأحنف ورجحه العسكري، وقيل عنه عن صعصعة عمّ الفرزدق وبه جزم أبو عمر لكن ليس للفرزدق عمّ اسمه صعصعة وإنما صعصعة جده. اهـ باختصار. وفي أسد الغابة في معرفة الصحابة صعصعة بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم بن مالك بن زيد مناة بن تميم جدّ الفرزدق الشاعر واسم الفرزدق همام بن غالب بن صعصعة هو ابن عم الأقرع بن حابس بن عقال، روى عنه ابنه عقال بن صعصعة والطفيل بن عمرو، روى عنه الحسن البصري إلّا أنه قال: عمّ الفرزدق والصحيح أنه جدّه. اهـ بحروفه والله سبحانه وتعالى أعلم.

تمّت سورة الزلزلة والحمد لله وحده
وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلّم